الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق – ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

حزيران ١٩٧٦

ملحق العدد ٢٦

• • •

صاحبها ورئيس تحريرها

• مدحة عكاش •

MADHAT AKKACHE

هذه المجلة

بقلم :

نعود من جديد لنقول : بأن هـذه المجلة مازالت أمـلاً ، تتطلع الى الأقلام المعطاءة في وطننا العربي كله ملتزمة بخطها الـذي انتهجته منـذ ظهورها ، محاولة ـ ما وسعتها المحاولة ـ الحفاظ على تراثنا ، متطلعة الى كل جديد يستحق اسم الجديد .

ونحن ، اذا حاولنا في كثير من الأحيان أن نستقطب انتاج أدبائنا الكبار ، فليس هذا معناه أننا ـ كما يزعم البعض ـ لانقدر انتاج شبابنا الكثير الجيد الذي أحللناه مكان الصدارة من صفحات هذه المجلة . كان ذلك بعد أن رأينا فيه المردود القومي والأدبي والفني ، ورددنا بعـده كـل ما حاول فيه الأدباء الخروج عـن أصالتنا ولغتنا وأدبنا وفننا .

نعود من جديد أيضاً لنقول : ان صفحات المجلة وقف على كل أدب جيد وموصدة أمام كـل أدب لا يمت الى أخلاقنـا وعروبتنا ، نقول هذا للمتنكرين ممن ينكرون علينا كل ماضٍ مجيد ، وتراث مشرف ، وتاريخ أدبي كبير مليء بما يدعو الى كـل فخـر واعتزاز .

رئيس التحرير

ميلاد الألفاظ

بقلم

شفيق جبري

هل أبالغ في قولي اذا قلت لا تكاد تحضرني عبارة أفصح بها عن عبقرية الجاحظ ؟! ما أفسح الافاق التي جال فيها ، أي أفق لم يسجل فيه ، أكان غريبا عن ميادين الفلسفة والعلم والاخلاق والعادات وما شاكل هذه الابواب كلها ؟! أما في الادب فهو السماء التي لا تطاولها سماء ٠

ولكنني أتخطى في هذا المقال كل ما أشرت اليه وأحبس الفكر على أمر واحد وهو ميلاد الالفاظ ، فقد نقل في كتاب البخلاء حديثا عن طاهر الاسير حدثه به ، قال « ومما يدل على أن الروم أبخل الامم أنك لا تجد للجود في لغتهم اسما يقول : انما سمى الناس ما يحتاجون الى استعماله ومع الاستغناء يسقط التكليف » ٠

اني أرى في هذه العبارة الوجيزة اشارة الى ميلاد الالفاظ ، قد يجوز أن الجاحظ لم يتوسع في هذا الباب توسع علماء اللغة في عصرنا ، فلم يذكر كيف تولد الالفاظ أي كيف تولد أسماء المسميات التي يحتاج اليها الناس ، ولكن فطنته الى أن الناس يسمون ما يحتاجون اليه تدل على فطنته الى ميلاد الالفاظ ، فلا تولد الالفاظ الا اذا احتاج الناس الى استعمالها ، فما أكثر الامور ، وما أكثر الافكار الحديثة التي تعرض لنا في مجرى الحياة وتكون جزءا من تفكيرنا العام ! ولكن كيف السبيل الى الافصاح عن هذه الامور وهذه الافكار ؟ لا ريب في أن اللغة تلجأ في هذا كله الى ألفاظ حديثة ولكنها في أغلب الاحوال تكتفي باطلاق لفظة قديمة على معنى حديث أو أمر جديد . وفي لغتنا العربية شواهد كثيرة على هذا الموضوع، فالالفاظ الاسلامية مثلا لم يكن لها قبل الاسلام المعنى الذي أطلقه عليها الاسلام ، ولا حاجة بنا الى الاستشهاد في هذا الباب ، فهذه الالفاظ معروفة وقد دل عليها علماء اللغة . وما يقال في الالفاظ الاسلامية يقال في ألفاظ كثير من العلوم كالنحو والفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة وغيرها فاللغة العربية لما احتاجت الى بعض المعاني الحديثة أطلقت ألفاظا قديمة على هذه المعاني .

ولتوليد الالفاظ التي تدل على المعاني الحديثة مذاهب بينها علماء لغة الافرنجة يحتاج التبسط فيها الى مقال غير هذا المقال ، فالالفاظ في اللغة عرضة في كل زمن للميلاد وللموت ، فقد تولد اللفظة اذا أطلقها الذهن على فكرة جديدة ، وتموت هذه اللفظة اذا لم يجد الذهن وراءها صورة أو فكرة ، واذا كان في اللغة ألفاظ كثيرة لم تتغير معانيها من أول نشأتها فهي لا تزال تدل على كل الافكار وعلى كل الامور المجردة أو المحسوسة أو على كل كائنات العوالم الثلاثة : عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن، أو على أنواع نشاط الانسانية ، الى اخر ذلك . اذا كان في اللغة ألفاظ كثيرة من هذا النمط حافظت على أوائل معانيها وعلى وحدة اللغة فان عوامل كثيرة تعمل على تغيير معاني الالفاظ ، وتاريخنا لا يخلو من هذه العوامل من أول نشأته حتى يومنا هذا ، فقد تكون العوامل دينية أو أدبية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية الى غير ذلك مما يكون له صلة بحضارتنا ، فالالفاظ انما هي خدم للافكار فلولا الفكرة لم تكن اللفظة ، على أنها قد تكون ولكنها تظل محبوسة في الذهن فهي لا تدخل في اللغة .

اذا احتاجت لغتنا مثلا الى احداث ألفاظ تدل على أفكار حديثة فانها اما أن تلجأ الى التعريب فتستعير من لغات أجنبية ما تحتاج اليه واما أن تلجأ الى الاشتقاق والنحت فتستخرج من لفظة موجودة ألفاظا جديدة بصيغ مختلفة ، وفي بعض لغات الافرنجة أنهم يلجأون الى زيادات يزيدونها في أوائل الالفاظ أو في أواخرها ، والتوسع في توضيح هذا كله يرجع الى علماء اللغة .

اذا أحدثت اللغة معاني فانها تجعل لالفاظ موجودة فيها وظائف كانت تجهلها هذه الالفاظ ، وليس في ذلك وجه من الضرر فان اللغة تجعل من لفظة قديمة لفظةجديدة فتقتصد في الاصوات وتجعل للصيغة نفسها وظائف مختلفة، وقد أفاض في هذا الموضوع علماء اللغة في عصرنا وفي مقدمتهم « دار مستتر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ ، الذي شرح ميلاد الالفاظ وموتها ، ومحافظة اللغة وثورتها شرحا لا مزيد عليه ، ومنه اقتبست بعض ما جاء في هذا المقال .

فاللغة في كل زمن عرضة لمذهبين شديدين : مذهب المحافظة ومذهب الثورة فالى جنب مذهب المحافظة الذي يحرص على وحدة اللغة يأتي مذهب الثورة الذي يغير اللغة ويلقي بها في مهاب جديدة من شأنها تغيير في الالفاظ ، ولا ريب في أن الاسباب في هذه التغيرات والثورات كثيرة فان حالة لغة أمة من الامم متصلة بأفكار هذه الامة ، فهذه الافكار عرضة في كل عصر للانتقال من حال الى حال ، ففي كل يوم فكر جديد أو اختراع جديد وكل ذلك يستلزم ألفاظا جديدة ، فاللغة العربية مثلا شهدت الاسلام الذي جاء بأفكار جديدة استلزمت ألفاظا تدل عليها ، وشهدت علوما جديدة ، ومذاهب جديدة ونحلا جديدة ، وحروبا وغير ذلك ، فكل هذه الامور قد أدت الى احداث ألفاظ أو الى نقل معاني الالفاظ من معنى الى معنى .

أما كيف تحدث هذه التغييرات كلها ، وما هي أسبابها النفسية والادبية وكيف تدل الالفاظ الحديثة أو المعاني الحديثة في لغة من اللغات ، أما هذا كله فانه يرجع الى ميلاد الالفاظ .

شفيق جبري

الابداع الذي نحتاج اليه

د. عبد الله عبد الدائم

لا مجال لتعدد العوامل التي تدعو الى نفاذ القدرة على الابداع . ولا يهمنا هنا أن نقوم ببحث نفسي تحليلي للابداع ومقوماته . وما نريد هو أن نمس المشكلة واقعيا، لا على نحو مجرد ، فنبحث في مقومات الابداع في المرحلة التي تجتازها بلادنا العربية اليوم . ذلك أن جميع العوامل التي تدعو الى غنى الابداع أو فقره ، مردها في نهاية الامر في نظرنا ، الى مبدأ القدرة على التكيف مع الاوضاع الجديدة التي يجتازها المجتمع ، والمبدع هو من استطاع أن يأتلف مع الجو الجديد الذي يمر به مجتمعه ، ويدرك ما في هواء المجتمع من نوازع وتطلعات وحاجات يجيب هو عليها ، فيخلق بذلك معاني جديدة بأن تسمى جديدة لان فيها عبق التطور الاجتماعي الجديد .

أو ليس الابداع هو الحرية عينها ؟ أفلا يعني أن يتحرر الكاتب والمفكر من أساليب في التفكير هي التي تعلمها واعتادها ، كانت تلبي حاجة فترة مضت ومرحلة تجاوزها المجتمع ، وغدت بعيدة عن أن تفي بمتطلبات الوضع الاجتماعي الجديد ؟ أليس الجدب في المحافظة على أساليب يلذها المفكر أحيانا وينساق في منحدرها السهل ومنزلقها الممهد ، لانه ألفها وطالت عشرته لها ، فغدا أسيرها وكانت لفكره سدا يحول بينه وبين الانطلاق الحر؟.

الى ما يقرب من هذا يذهب ابن رشيق في عمدتـه حين يقول : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى ما كان قبله » .

والى مثله يذهب عبد الكريم بن ابراهيم في حديثه عن القديم والجديد في الشعر : « قد تختلف المقامات والازمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في غيره ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره . ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه» .

لقد عرفوا الذكاء بأنه القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة ، وكلنا يدرك أن الشخص الذكي هو الذي لا نجد لديه الصلابة والجمود اللذين نجدهما لدى الكائن الجامد ، وانما نجد لديه تلك المرونة وتلك القدرة على التغير التي تسم الحياة في جوهرها . حتى ان بعض العلماء يفسرون الصلة بين الذكاء وكثرة تلافيف الدماغ بأن المؤثر الذي يقع على الانسان ذي التلافيف الدماغية الكثيرة ، لا يجتاز عددا من الطرق قليلا ، وانما يجتاز التواءات ومنعطفات عديدة تجعل من استجاباته استجابات فيها مجال لحلول كثيرة غنية . ويذهب برغسون الى أبعد من هذا ، يفسر ظاهرة الضحك نفسها على أساس هـذه المرونة والليونة في الاستجابة . ويرى أن ما يضحكنا هو أن نرى الكائن المرن يتلبس بمظهر الكائن الجامد الارن ، ويفقد المرونة التي هي جوهره .

وتتجلى لنا فكرة برغسون هذه واضحة ، وتتجلى لنا الصلة عامة بين الحياة والمرونة والتكيف اذا حاولنا أن نفهم معه لِمَ يضحك أحدنا من وجه قبيح مشوه ، أو من شخص أحدب أو ... اننا اذ نضحك من هؤلاء نضحك من تصلب أيضا حلّ فيهم محل المرونة ، كأنما يخيل الينا أنهم قصدوا الى وضعهم الجسدي قصدا ، فحادوا عن المرونة ووقعوا في تجمد الهيئة : « ألا يبدو لكم الاحدب كرجل ساءت وقفته ؟ فكأن ظهره قد تعود هذا الانحناء السيء ، ودوام على هذه العادة نتيجة عناد مادي ، أي نتيجة تصلب ... حاولوا أن تنظروا بالاعين فقط ، لا تفكرون ولا

تناقشون ، وامحوا ما اكتسبتموه وابحثوا عن الانطباع البسيط المباشر الاول . ألا ترون حينئذ متهداً من هذا النوع ؛ مشهد رجل أراد أن يتصلب على وضع ما ، وأن يجعد جسمه ان صح التعبير ؟ » .

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

ولن نعرض للامثلة الخصبة الكثيرة التي أوردها برغسون للتدليل على فكرته هذه ، فكرة رد المضحك الى كل ما حلت فيه صلابة المادة ، فجمد حيث ينبغي اللين وتصلب حيث تجب المرونة ...

وحسبنا اذا أردنا أن نزيد في اظهار هذه الصلة القائمة بين الحياة والمرونة ، بين الذكاء والتكيف ، أن نذكر بأحوال الشذوذ والمرض النفسي وألا ننسى أن جميع الامراض النفسية قائمة على أساس هذا التصلب في وظائف النفس ، على أفكار ثابتة يقف عندها المريض فتسيطر على حياته كلها ، ويجدها أينما توجه من حوله في كل حركة من حركاته ... وما الاوهام المسيطرة وما الهذيان وما الوهن Asthemir وما البارانويا وما الفصام Schizophreinie الا حالات من التصلب في تيار النفس ، تسيطر فيها على المريض رؤى وأفكار ونزعات لا يستطيع ردها ، وتفرض وجودها عليه .. وهل تعني « العقدة النفسية » غير هذا التصلب والتعقد والانجذاب الجامد الى محور لا يتجاوزه الانسان ؟ وهلا يرجع «فرويد Freud » وصحبه أكثر أنواع الاضطرابات والمرض الى الوقوف عند مرحلة من التطور النفسي كان على الشخص أن يجاوزها ، والى تثبت على أطوار من الحياة الجنسية والعاطفية يمر بها الانسان السليم ليرقى الى غيرها ، ويقف عندها المريض أو يعود اليها ، مراوحا في مكانه أو متقدما الى وراء ؟

ان جميع ما ذكرنا من أمثلة توضح اذا قيام الصلة الوثيقة بين التكيف والوضع السليم ، بين التكيف والذكاء، بين التكيف والحياة ... فماء الحياة لا يعرف الركود والا غدا أسنا وموطنا للاوباء ... والتوقف لا معنى له في لغة الحياة ، وكل توقف تراجع ، والذكي من عرف أن يتكيف مع الظروف المتجددة ومع المواقف والمشكلات الطارئة والسليم السوي من جاوز كل طور الى ما يليه ، ولم يقف حيث ينبغي أن يسير ، ولم يتصلب حيث ينبغي أن يسيل .

واذا كان الابداع أقوى صور الذكاء وأرفع أشكال الحياة الدافقة ، فحري به اذا أن يكون قدرة على التكيف مع متطلبات الحياة ، وحري بالمفكر المبدع ألا يقف عند أنماط التفكير تجاوزها المجتمع ، وألا يراوح في مكانه والركب سائر ، وألا يمشي القهقرى ، فعلة الكائن الجامد تشده الحياة الى أمام فينجر الى وراء ، ويعدو المجتمع أمامه فينفر أو يعتزل أو يمتعض .

ان الابداع كما قلنا أقوى تعبير عن الحرية .. انه ابتعاد عن الاطر الجامدة ، عن السنن الجامد ، عن السنة والسكون .. انه وثبة النفس فوق ذاتها وتحرر الذات من قيودها .. انه ابتعاد عن الخوف ، مغامرة في عالم الجديد ، مسايرة للحياة في وثبتها التي لا تعرف الوجل ولا تخاف العقبات ..

« ما هذا يا نفسي ؟ انه الحرية » هكذا قال كيركيجرد Kirkegaard متسائلا عن سر ابداعه .

ان الجيل المبدع هو الجيل الذي تحرر من رواسب الماضي وانطلق ينشد المستقبل في حرارة . والمفكر المبدع هو الذي تحرر من عاداته المستشرية فخط لنفسه عادات تساير ما يفوح في المجتمع من روح ناعم جديد ، بدلا من أن يظل ثابتا على أفكار ذابلة ، كانت أزاهير ، ففقدت ضوعها وكادت تنتن .

● ● ●

وبعد ، ما هو هذا الابداع الجديد الذي ينتظر من مفكر في بلادنا تنكب للجامد وانطلق مع الحي المتحرك ؟ وهل ما نجده في مجتمعنا العربي اليوم من مجالي الابداع يحقق هذا الابداع الذي عرفناه ويجعل من مفكرينا أناسا جديرين بهذا الاسم ؟

هناك طائفة من المفكرين ، غدت قليلة ، تفهم من الابداع ضربا من الوحي الشخصي والالهام اللدني الذي لا يغذيه اطلاع وزاد . وتعتقد أن الخلق يمكن أن يكون من عدم مناقضة المثل اللاتيني القائل «لا شيء من لاشيء » . ومن بين هذه الطائفة أولئك الذين يعتقدون أن الامة العربية تستطيع أن تبدع قبل أن تدرك وتعي ما جاء به غيرها ، وأن عليها أن تمتاح معاني الابتكار من ذاتها ومن خصائصها . ولئن كان وراء موقف هؤلاء رغبة مشكورة في الوصول الى شيء قومي أصيل ، وفي التحرر من عبودية الغرب فهم ينسون الحقيقة التي وقفنا ووقفنا

عندها أن الابداع ينبغي أن لا ينسى متطلبات الوضع الاجتماعي الجديد . كما أنهم خاطئون اذ يخيل اليهم أن في الاهتمام بتراث العرب ، اذا اتصف هذا الاهتمام بالصفات التي سنبينها ، تخليا عن الاصالة وانقياد وخضوعا ... وهكذا نرى فريقا من الكتاب يفكرون جاهلين كل شيء يتصل بالفكر العالمي ، ويعتقدون أن ما في عقولهم هو ما في العالم من أفكار ، وأن ما عندهم من اجتهاد شخصي غير مزود باطلاع ومعرفة هو كل الابداع ، ويسلكون لهذا مسلكا جريئا جدا ، فيخوضون في كل بحث ويفكرون في كل مشكلة جاهلين بأصولها وما قيل فيها من أبحاث ، ظانين أنهم أول من يتعرض لها . ولهذا تراهم يهرفون بمالا يعرفون ويتجرأون على أكبر المشكلات فيجدون لها الحلول القاطعة في زعمهم .. ان الابداع لديهم ينقلب الى تجاهل التجربة العالمية في كل ميدان ، وتوهم الاتيان بالجديد في مجالات قتلت درسا وبحثا .

والى جانب هذه الطائفة الاولى طائفة ثانية تشعر على العكس بالانسحاق أمام الفكر الغربي فترتمي في أحضانه غير أن ارتماءها في أحضانه ارتماء فقير مجدب يقصر عن فهم هذا الفكر الغربي ولا يصل الى شأوه ويقتصر على نوع بن التتلمذ على أستاذ قوي دون شك ، غير أن تلميذه لا يفهم منه الا فتاتا قليلة .

وهذا الموقف الثاني كثير الذيوع ، وهو أكثر ذيوعا من الموقف الاول . وهو أيضا وليد العجز وليس من الابداع في شيء . ان صاحبه أشبه بمن يتكنى بجاره . فهو حين أجدب وأمحل يلتمس الخصب في التحدث عن خصب غيره دون أن يعرف هذا الخصب . وما يلبث حتى يظن بعد حين أن مجرد حديثه عن غنى الاخرين ، غنى الغرب ، يمنحه الغنى . بل قد يخيل اليه أنه يشارك في ابداع هذا الذي يبدعه غيره . كمثل من يستمع الى عازف كبير فيحرك يده أحيانا كأنما يريد أن يقلد النغم الذي يعجب به ويظن بهذا أنه يشارك في احداث النغم .

ويتجلى موقف هذه الطائفة خاصة في أنهم حين يحاولون نقل فكر الغرب لا ينقلون الا أجزاء متناثرة وأشلاء مقطعة . فيقبسون من هنا وهناك ، ويقمشون من هنا وهناك ، ويتلمظون ببعض النتف ، دون أن يدركوا النظرة الكلية الثاوية وراء هذا كله ، والمنازع العامة التي توجه هذا كله . انهم لا يصعدون الى منبع الابداع ، ويكتفون بأن يغرقوا من شطآنه الموصلة كدرا يحسبونه صفوا . ويصيبهم من وراء هذا كله غرور أيما غرور ، فيحملون على تراثهم دون أن يفقهوا منه شيئا ، ويدعون الى تراث غيرهم دون أن يفقهوا منه شيئا أيضا .

ونرى هذا الموقف جليا لدى بعض الدائنين بمذاهب سياسية غريبة . فنراهم ينقلون فتات المذاهب دون أن يفهموا منزعها ووظيفتها الحقيقية ، ويوهمون الناس أنهم يتبنون مذاهب ونظما سياسية وحكومية أثبتت جدارتها لدى أمم حديثة ، في حين أنهم يخترمون هذه المذاهب والنظم ويقتطعون منها ما يفهمون أو ما يشاؤون ويدعونها تلتمس الحياة في بلادنا عرجاء شوهاء مقطعة الاوصال ، محروسة أحيانا من جهازها التنفسي الاصلي بل من لحمها ودمها .

ولا يعنينا أن نستمر في هذا الحديث ، المكرور أيضا عن موقفين من الابداع ، في صلته بالغرب . ويهمنا أن نذكر أن كلا من الموقفين موقف متصلب أرن لا يراعي مطالب الوضع الجديد ، ولا يعرف أن يتحرر من العبودية التي تفرض عليه ؛ وأن كلا الحلين للمشكلة حل سلبي متراجع ينبىء عن خوف منها وهلع ، ولا يواجهها في صراحة واقدام .

ان الموقف السليم تجاه مشكلة الفكر الغربي ينبغي أن يكون دون شك أن نجعل من نقلنا لهذا الفكر الغربي ابداعا وأول شروط الابداع في مثل هذا المجال أن نفهم ما ننقل فهما كليا جامعا ؛ أن لا نخلق من نتف ومزق نستوردها من الغرب كما نستورد زجاجات الويسكي مخلوقا عجيبا ندعي أنه مخلوق ، ولا يثير فينا الا الضحك ، الضحك من تجمد الحياة على هذا الشكل . فليس كل نقل اتباعا . وادراك ما يبدعه الاخرون على حقيقته وفي قوته وأعماقه هو بحد ذاته مشاركة في الابداع ومشاركة كبرى . وهو فوق ذلك استعداد لتجاوز هذا الذي أبدعه الاخرون . فمن استطاع أن يضع نفسه موضع الاخرين تماما وأن يصل الى مستوى ما أبدعوه من أفكار انسان وصل الى شأو من ينقل عنهم وفي وسعه أن يبدع فوق ما أبدعوا كما يبدعون هم فوق ما أبدعوا . ثم ان مهمة النقل الاصلية في الابداع أن تنقل الينا الوثبة التي أحدثت الابداع عند من ننقل عنهم وأن تشيع بيننا الدفقات التي أدت الى الخلق والروح المبدعة التي تثوي وراء نتائج الابداع وآثاره . ان مهمتها أن تنقل الينا الوحي الثاوي وراء الافكار لا الافكار وحدها .

ولا يتم هذا كله الا اذا لجأنا الى أسلوب صحيح في

النقل . وهذا الاسلوب الصحيح هو الذي يعنينا الحديث عنه خاصة :

أسوأ أنواع النقل أن ننقل دون ما خطة مرسومة، وان ننقل ما يقع بين أيدينا ، وأن ينقل كل كاتب ما تهديه اليه مطالعاته المبعثرة الشتيتة . فمثل هذا النقل لن يطلعنا على « الكيان » الذي ننقل عنه كاملا ، ولن يحررنا من التقاط فتات الموائد بدلا من الرجوع الى الاصول .

والاسلوب الصحيح أن نبدأ بنقل أهم « كيانات الغرب » بكاملها . الاسلوب الصحيح اذا أردنا أن ننقل في مجال الفلسفة مثلا ، أن ننقل « كيان » الفلاسفة الفكري بكامله غير مجتزأ ، ونقدم كل مؤلفات كبارهم للجمهور ، غثها وسمينها فننقل « كنت » بأسره أو « سبينوزا » بأسره ؛ أو ننقل الماركسية بكامل صورها وكتبها الاصلية ؛ أو ننقل الفن في شتى مجاليه ، كاملة غير منقوصة ، فخير ما نفعل أن نلجأ الى الينابيع الاصلية فننقلها ؛ وخير ألف مرة ، في بادىء الامر ، أن ننقل « كنت » كله بدلا من أن ننقل ما كتبه بعضهم عن « كنت » ولو كان هذا الذي كتبه بيسر فهم الفيلسوف .

ولهذا الموقف الذي ندعو اليه مبررات كثيرة :

منها أننا اذ ننقل أفكار الغرب بكاملها ، في مؤسساتها كاملة ، نقوم بجهد فكري هائل للوصول الى شأوها . اذ النقل يستلزم الفهم العميق .. وبذلك نتمكن من العلو فوقها والابداع ابداعا يتجاوزها ..

ومنها أن من أخطر الاخطار التي نقع فيها حين ننقل نتفا من الافكار لا « كيانات » كاملة ، اننا نقدم فكرة مغلوطة عن المفكر الذي ننقل عنه ، فنظهره أحيانا دون ما هو ، ونظهره أحيانا أخرى فوق ما هو ، ونفهمه كما نريد وكلا الشيئين ضار . والذي نلجأ اليه غالبا هو أن نظهر المفكر فوق ما هو ، اذ نتخير خير ما عنده ونعرض لآلىء فكره دون أن نعرض ما الى جانب هذه اللآلىء من نقائص كثيرة لا ينجو منها مفكر . وبهذا تتكون لدينا فكرة مغلوطة عن مفكري الغرب ، ونتصورهم خيرا مما هم، ويزداد شعورنا بالانسحاق أمام الغرب ، ويخيل الينا أن هناك فارقا هائلا في المستوى بين بعض تراث الغرب وتراثنا بين بعض مفكري الغرب ومفكرينا .. ولا ندرك هذه الحقيقة المنصفة وهي أن لدى كل مفكر في العالم ، مهما يكن شأوه ، بعض الافكار القليلة القوية التي تخلق سمعته وتجعل منه مبدعا ، الى جانب طائفة كبيرة من الافكار العادية أو الضعيفة . وبنتيجة جهلنا هذه الحقيقة ، بسبب اطلاعنا على لآلىء المفكر وحسب ، نحقر مفكرينا وتراثنا . حين لا نجد فيه الروعة فقط ، وانما نجد فيه الى جانبها كثيرا من الدمامة والضعف ، وحين نظن أن هذه الظاهرة مقصورة على تراثنا . وحق لنا أن نظن ما دمنا لم نر الفكر الغربي في جميع قسماته ، واقتصرنا على رؤية قسماته البديعة .

ومن هذه المبررات التي تجعلنا ندعو الى نقل « الكيانات » ، كاملة لا مجتزأة ، أن كثيرا من الاخطاء التي نقع فيها عندما نفكر ونناقش مسائل الفكر ونبدي حيالها آراء واجتهادات مختلفة ، معتمدين على أفكار الغرب في رأينا ، ترجع الى أننا لا ندرك من وجهات الفكر الغربي الا وجهة نظر وحيدة أو وجهات نظر محدودة ، ولا ندرك المشكلة في جميع جوانبها وصورها . لهذا ترانا طرائق شتيتة ، اذ كل واحد منا يناقش المشكلة من المنظار الذي اطلع عليه لدى المفكرين الغربيين والذي اطلع عليه دون غيره .. ومن هنا نكاد لا نتفق حول فكرة أو حول فهم مذهب معين سياسي أو فني أو فلسفي ، لان كلا منا ينطلق فيه حسب حظه من العلم ورتبته من الاطلاع ، ولان الاطلاع الشامل على أوجه المشكلات الكاملة غير ميسر لنا ما دمنا لا ننقل الا فتاتا ولا نقرأ الا فتاتا .

يضاف الى هذا كله أن الموضوعات التي نتطرق لمعالجتها تأخذ شكلا غير الشكل الذي نعرفه ، اذا ما تيسر لنا هذا النقل لكيانات الفكر الغربي كاملة ولمؤسساته المبدعة . ان تخيرنا للموضوعات لا يعود ، عند ذلك ، ذلك التخير الذي يمليه ، اننا لا نملك عن الفكر الغربي أي ثروة سابقة منظمة ، والذي يجعلنا نكتب في أي موضوع دون ما نظر الى مرحلته الزمنية ، فنكتب اليوم في موضوع كتب بالامس ، غير آبهين لما كتب ، ناظرين الى موضوعنا كأنه موضوع جديد . اذ من شأن أسلوب النقل الذي نتحدث عنه أن يجعل أمامنا زادا فكريا نهائيا ومهادا أدبيا سابقا ، على أساسه نبني وننشىء موضوعاتنا ، وابتداء منه نصدر في أفكارنا . فما انني نفني هذا الزاد وننسج حوله حتى نبلغ به شأوا من الابداع عاليا . أما أن نهبط حينا ونعلو حينا ونصمت حينا ونتكلم حينا آخر ، وننقل عن الغرب تارة ، ولا ننقل تارة أخرى ونتحدث اليوم في موضوع حديثا لا ندري ما مبرر انتقائه ، ونأنف من مثل هذا الحديث في الغد فهذا كله تشتت فكري ، وبناء في فراغ

ونسج حول شيء لا نواة له ولا لحمة · ان نقطة البداية في كل ما يمكن أن يقدمه المؤلف للجمهور أن يقدم لهم شيئا يتساءلون عنه بطبيعتهم أو يخلق في نفوسهم التساؤل عنه · وأول مقومات التساؤل أن تكون هناك أبحاث غدت راسخة وأفكار تم نقلها كاملة ، تغدو هي موضوع بحث جديد مستحدث ، ومنطلق جدل ومشكلات جديدة ، ومجال حديث عنها من وجهات نظر مبتكرة · وهكذا تستمر حركة الفكر متكاملة متعالية ، ويخلق تراث ويخلق كيان ···

● ● ●

وبعد ، هذه هي سبيل الابداع ، في رأينا ، فيما يتصل بموقفنا من الفكر الغربي ؛ وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تقودنا الى تجاوز هذا الفكر الغربي والوقوف منه موقفا مبدعا · ولئن كنا قد وقفنا عند هذه المشكلة ، مشكلة النقل عن الغرب ، هذه الوقفة الطويلة فلانها أكبر مشكلة تواجهنا في المرحلة الحالية ، ولان كل حديث عن الابداع لا يتعرض لها ، حديث زائف يتهرب من المشكلة الاصلية · أو لم نعرف الابداع منذ البداية أنه تلاؤم مع متطلبات الحياة الاجتماعية الجديدة وتحسس بالاتجاه الذي يتمخض عنه المجتمع ؟ أفلا يحدثنا كتابنا فعلا عن فتات من الفكر الغربي كان حريا بهم ألايجتزؤها هذا الاجتزاء المصطنع ، وكان حريا بهم أن يهدونا بدلا منها عن بداية الطريق التي توصل اليها ؟ أمن الجائز ألا يكون هنالك ترتيب معين في عرض أفكار الغرب على الجمهور ؟ وان نعجب فنعجب حقا أن يحدثنا كاتب عن فكرة في قمة الفكر الاوربي ونحن ما زلنا غير عالمين بعد ما في أودية ، هذا الفكر الاوربي ، وان يصعد بنا الى شاهق الفلسفة ونحن لم نر قبل ذلك ، الدروب المؤدية الى هذا الشاهق ! ··

ان قضية الكاتب ليست قضية امتاع ومؤانسة · انها قضية تكمن وراءها مسؤولية جسيمة ، ولا يجوز لشراعه أن يمخر دون أن يعرف أين المسير والى أين المصير · وان كانت مسؤولية الكاتب جسيمة في كل فترة من الفترات ، فهي في هذه الفترة من حياتنا ، حيث القلق والحيرة والتشتت ، أشد ما تكون خطرا وأثقل ما تكون عبئا ولئن حق لامة استقر كيانها وقوي عودها أن تترف في البحث وتسير فيه على غير هدى ، فلا يحق هذا لامة ما يزال بنيانها ضعيفا وما يزال جسمها هزيلا غير قادر على أن يحول كل شيء ، حتى الفوضى والتشتت لصالحه وفائدته ·

● ● ●

على أن هذه المشكلة التي وقفنا عندها هذه الوقفة ليست الوحيدة التي تواجه مسألة الابداع الفكري عندنا · ولن يتسع المقام للحديث عن المشكلات ، الاخرى الا أننا نود أن نشير الى واحدة من هذه المشكلات ، لصلتها الوثيقة بالمسألة التي كنا بصدد الحديث عنها ·

ان موقف كثير من مفكرينا من مشكلة النقل ذلك الموقف الذي نقدناه، موقف من يعرض أمام القراء المتفرجين قطعا من صور مزوقة ينقلها نقلا غير واف ، ان ذلك الموقف قد جعل من أهم أسباب عقم الابداع عندنا عقم الابداع نفسه·وقد تعجبون من تحصيل الحاصل هذا،غير انه عندنا ذو معنى جدير بالعناية : ان انعدام الابداع ، بنتيجة وقوف أكثر مفكرينا تلك الوقفة الذليلة السطحية من الفكر الغربي ، أدى الى ظهور أدب هجين وفن هجين وفكر هجين ، بدأ جمهور المثقفين يألفونه ويسيغونه ، رغم انحرافه وضعفه ، حتى أوشك أن يصبح هذا الفكر الهجين مقياسا يحكمون عن طريقه على كل ابداع · لقد عودهم مفكرونا ذلك الاسلوب من البحث والتفكير ، اسلوب الاجتزاء والنظرة العابرة السطحية ، فكاد يسري هذا الاسلوب الى نفوسهم ويكون مقاييسهم الفكرية ومحاكماتهم المنطقية على غراره وطرازه ، وكاد ينقلب الاسلوب الفاسد عندهم الى قاعدة ومبدأ ، وكاد ذلك الاسلوب من اجتزاء الفكر الغربي وايراد النتف الفكرية المبعثرة ، يصبح سنة تتبع ، وقدوة تحتذى يتبارى فيها الكتاب ·

وهنا يكمن الخطر كل الخطر : أن يصبح الهجين هو الاصيل،وأن يغدو الطريق المنحرف هو الطريق الامم،وأن نتذرع بعد ذلك ، اذا ما نقد ناقد سلوكنا الذي نسلك ،

بأننا نلبي رغبة الجمهور وحاجة القراء ٠٠ ونحن الذين نخلق لدى الجمهور هذه الرغبة الملتوية ، بتجريعه اياها قطرة قطرة ، ونحن الذين نثنيه عن حاجته الحقيقية ٠٠ ومع ذلك ، فنحن نعتقد أن أكثرية الجمهور لم يحدث لديها بعد هذا الانحراف في تذوق الفكر ، وان كان قد أصاب طائفة قليلة من المثقفين ٠ ونرى على أية حال أن ارضاء الجمهور لا يكون أبدا بالهبوط الى مستواه ، وانما يكون برفعه الى المستوى الذي نريد واعطائه أحسن الاطعمة ٠ وواقع الجمهور يكذب دوما زعم من يتذرعون بضعفه فيما يقدمون من نتاج ضحل وأفكار وتوجيه ٠ انه يثبت في شتى المناسبات أنه قادر على ادراك الابداع الحقيقي وتفهم الوثبة الجديدة بحدسه وذوقه السليم ،وفطرته غير المشوبة٠ أو لم تثبت الحياة السياسية في بلادنا أن فساد الجمهور راجع الى فساد القيادة ، لا العكس ، وأنه اذا ما عرفت هذه القيادة حقيقة مطالبه استطاعت أن تخرج منه الخير الكثير، واستطاع هو أن يسيغ أفكارا يتخيلها الزعماء في البداية عصية على فهمه وادراكه ؟

ويروق لنا أن نقارن موقف المفكر من الجمهور بموقف الراشد من الطفل ٠ ان الشائع لدى أكثر الناس أن الاطفال لا يسيغون الادب الرائع ، وينبغي أن نقدم لهم أنماطا ضعيفة هزيلة من الادب والخيال والاساطير تناسب،في زعمهم،قواهم الغض اليافعة٠ غير أن الوقائع تبين، كما بين أناتول فرانس في مؤلفه الشيق « كتاب صديقي » أن الاطفال يمجون ذلك النوع من الادب الرخيص الذي يقال انه صنع لهم خاصة وكتب من أجلهم ، وأنهم ، على العكس ، يهتزون للادب الرائع ، للفكر البديع المبدع ٠ ومثلهم الشعب : انه لا يطلب الغذاء الفكري الفقير ٠ وان زعم بعض المفكرين واتهامهم اياه بتقصيره عن ادراك الفكر المبدع الحق هو في الواقع ضرب من الاضفاء ! أعني أنهم يرون في الجمهور ما في نفوسهم من عجز وتقصير ٠ ان الجمهور عطش الى الابداع الحق ، وانه يعرف أن ينساق وراء من يهز أعماقه ويخاطبه بلغة الحياة ، بلغة الحقيقة ، بلغة الجد ، ان الجمهور أيضا يفهم أن الابداع يكون بالتلاؤم مع مطالب الحياة الجديدة ، يكون بسلوك سبيل رصينة جدية في فهم مقتضيات المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة ٠ ما هو « ببغاء عقله في أذنيه » على حد تعبير شوقي ٠ انه يستطيع أن يرى ولكنه في حاجة الى من يعرض أمام عينيه ما يستحق أن يرى وما يأسر نظرته وانتباهه ٠

وكم يضل أولئك الذين يقدمون للجمهور في الاذاعة وبعض المجلات ذلك النوع من الادب الرخيص ، زاعمين أنه لا يسيغ غيره ٠ ولو سالوا هذا الجمهور لاجابهم أنه لا يسيغ شيئا مما يدعون أنه موجه اليه وانه يعرف أن هذا هزل ، ولاجابهم بأن المحاولات المتكررة لافساد ذوقه وفكره ما زالت عقيمة ولم تؤت بعد أكلها ٠ ولكن ما نخشاه هو أن تثمر هذه المحاولات بعد لاي ، وأن ينفذ ذلك الافيون المخدر الى عقول الجمهور ، فيسيغ ما عود عليه ، ويغدو عنده قاعدة وأصلا ، كما ذكرنا ٠ وهنا تبرز مسؤولية المفكرين من جديد ، وهنا يفهم كل منهم أن كلمة يقولها ينبغي ألا يعدها كلمة تذهب مع الريح وعبثا ما يلبث أن ينسى ، وانما هي كلمة توجه وتغرس ، وقد يثمر غراسها، على سوئه ، فيغل للمجتمع بلاء وشرا ٠٠

وأخيرا ليس المبدع من يأتي بالمعجزات أو ينتظر هبوطها ؛ انه من تحرر من قيود أسلوبه الذي ألفه ، وانطلق من اسار عاداته الفكرية المستشرية ، وصارع ذاته وأنانيته العقلية ، لينخرط في حياة أمته ومجتمعه ، يقبس منها وحيه ، ويدرك من خلالها حقيقة المهمة التي تنتظره ومطالب المرحلة التاريخية التي عليه أن يحمل عبءقيادتها وتوجيهها ٠ انه لا يفكر ليجتر أفكاره ويستمتع بها ويتأملها تأملا نرجسيا مرآويا ، ولا ليبهر بها العقول الساذجة ، ولا يشوه بفضلها ذوق الجمهور ويستدرجه الى الانحراف ٠ انه يعرف أن ينسلخ من اهاب كل هذه العادات الفكرية ، وأن ينضو عنه صلابة موقفه والحاف نمط من التفكير سيطر عليه ٠ انه كائن حي يساير منطق الحياة ، منطق التكيف المتجدد ؛ ويجعل من التكيف مع ما يرهص به المجتمع ويتوق الى ظهوره شرعة ابداعه وموقد ابتكاره ٠

ان معنى العزم على أي شيء ، فكرا كان أو عملا ، هو كما يقول « لوسين » أن يعي صاحبه أن الفعل الذي يصدر عنه لن يدخل العدم ، بل يدخل قيمة من القيم ٠

د٠ عبد الله عبد الدايم

البحث عن المتاعب

بقلم سعيد الجزائري

هل صدق الذي وصف الصحافة بأنها « البحث عن المتاعب ؟٠٠ »

هذا السؤال ، قد لا يهم السادة القراء ، لا في كثير ولا في قليل ٠٠ انهم ، في الغالب ، يضبطون ساعاتهم على موعد صدور الجريدة ، وتعرف أيديهم كيف تمتد الى جيوبهم ، في سرعة البرق ، ليدفعوا ثمنها و « يقبضوا » عليها ٠٠٠ اذا لم يكن بعضهم قد وقع على «معاهدة جنتلمان» مع معارفهم من باعة الجرائد والمجلات ، تنص « مادتها الوحيدة » على استعارتها وقراءتها واعادتها ، سليمة من البلل في الشتاء ومن العرق الساخن في الصيف ، لقاء قروش معدودة ، لا تعادل ربع سعرها المحدد ، مما لا يؤذي موازنة القارىء البخيل ، والشائع ، بل الثابت والصحيح، أن هذا النوع من القراء مسجل في « جداول الاغنياء » المغمورين حتى رؤوس رؤوسهم تحت تلال من « تنكات » الاصفر الوهاج ، وتحت «بالات » من الليرات الورقية من فئة « الخمسمائة » الى ما لم تدر عجلات المطابع به بعد٠٠ وهم لا يبالون ، لماذا يبالون بما تلحقه هذه العملية الشحيحة ، في استمرارها ، من ضرر ملموس بتقديرات

« المتعهد » وبصندوق الادارة في المجلة والجريدة ۰۰۰ ولكن عانوا كل مرارة العمل الصحفي وذاقوا بعض حلاوته ، في وقت معا ، يصفقون ويهتفون من الافئدة قبل الحناجر للوصف الصافي الذي أطلقه أهل التجربة على هذه الصناعة التي قدرت لهم أقدارهم أن ينضموا الى صفوف العاملين فيها ، الملتزمين بالتسمر ، كل ساعات نهارهم وأحلى ساعات ليلهم ، وراء أجهزة الاذاعات المختلفة ، لالتقاط الجديد والاخير من الاحداث الجارية والمتفاعلة ، هنا وهناك وفي العالم من أقصاه الى أقصاه ، وبالتحديق الدقيق في نشرات المخبرين والمندوبين ووكالات الانباء ، وفي قراءة الكثير من القبيح والقليل من المليح ، في الريبورتاجات والتحقيقات الصحفية والمقالات التي حملها السادة أصحابها الى « قلم التحرير » في الجريدة والمجلة ۰۰۰

● ● ●

أهل الادعاءات فيهم يعتقدون ، بئس ما يعتقدون ، بأنهم ، هم وحدهم ، حملة المشاعل الوضاءة في اختزان « الكميات » الهائلة الفائضة في الفهم والكفاءات والافكار ، التي اذا ما نشرت ـ بضم النون ـ نشرت ـ بفتح النون ـ « خلاصة الخلاصات » في « الحكمة والموعظة الحسنة » ، وفي الاطلاع ، الكافي الوافي ، المستوعب ، على بدعة مابلغت اليه الفنون والعلوم والاداب ، في الثقافة والسياسة والحضارة ، ويكتشف الناس المساكين معها ، عندما تقع أعينهم عليها ، كواكب جديدة في السماء ، يذهبون اليها ويعودون منها في « الباصات » ، اذا ما خلت المطارات من الطائرات ، ويقيمون هناك « في العلالي » حفلات استقبال وشاي ورقص « على قرص الشمس » وفي مرابع المريخ وكازينو عطارد ومنتزهات زحل وأندية المشتري ، ولا مانع بعد أن صعد الى القمر من صعد وهبط من هبط ، من أن ينشيء القراء ، الذين انخطفت أبصارهم الى نتاج أولئك المدعين ، مسابح على سطحه الذي لم يعد حبيبا للعشاق ، بعد أن هتك المغامرون حرماته التي كانت أوهاما ، ولا مانع من أن يعدوا مباريات دورية في كرة القدم على ساحاته وأن يهيئوا برامج ترفيه ومسابقات جمال بين صخوره الناتئة كظهور الجمال ۰۰۰

أما في الارض ، هذه التي يدبون وندب عليها ، فسيقف القراء أمثالنا ، عندما يقرأون ما أبدعته عبقريات المدعين ، حيال مواهب خارقة مذهلة ، أين منها المعجزات والآيات البينات ، ولا حول ولا قوة الا بالله ۰۰۰؟

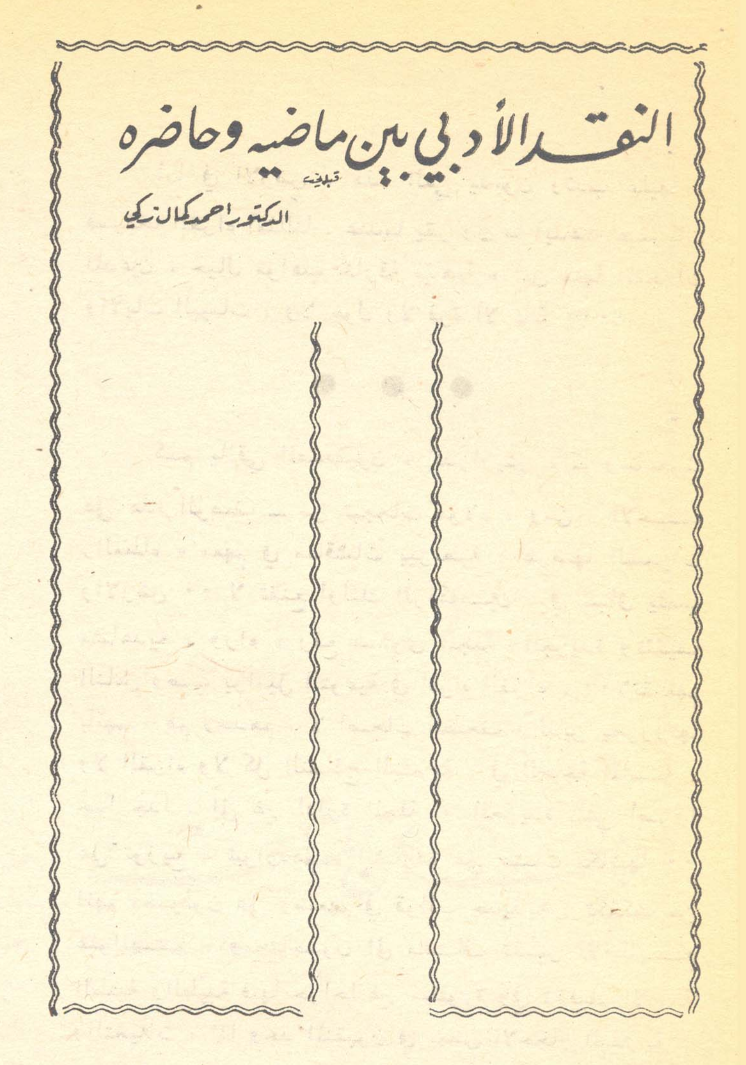
● ● ●

كم يلاقي الصحفيون « الدراويش » ـ وسامحونا على هذا الوصف ـ من تبجحات هؤلاء ، ومن « الاخذ والعطاء » معهم في مناقشات بيزنطية ، عرضها السموات والارض ۰۰ لا تقنع أولئك الراكضين ، في سباق يتعب مشاهديه ، وراء « رفع مستوى المجلة والجريدة وتثقيف الناس وصب براميل التوعية في أفواه القراء « ۰۰لاتقنعهم بأنهم ، هم وحدهم ، لا أصحاب الصحف والذين يحررونها ولا القراء ولا كل النماذج البشرية ، في الحاجة الماسة ، جدا جدا ، الى غير ادارة المجلة أو الجريدة التي أصروا على توزيع » شواردهم » الشاردة على عتبات مكاتبها ۰۰ انهم محمولون على وضعهم في قوالب حديدية ، تكفكف من غلوائهم ، ومحتاجون الى مشاف تلمس الاصابع الطبية والطيبة فيها جراحا غير منظورة وفي تلافيف الادمغة والتخيلات ، اذا وجد المنقبون في بعض الاحجار البشرية ۰ على سبيل المثال ، أدمغة وتخيلات ۰۰ ثم لانقاذ الاعمدة في المجلات والصحف من غارات ، كاسحة ماسحة ، يشنها السادة القراء ، حتى أولئك الذين يستعيرون « الاعداد » ويعيدونها ، على الادارة والزملاء المحررين والمطبعة والعاملين ، مع السهر والجهد المتعبين ، في تنضيد الاحرف۰

● ● ●

أخيرا ۰۰۰ هل من ذنب غير مغفور، أقدم على اقترافه الصحفيون من أصحاب المجلات الى رؤساء التحرير والمحررين الذين يضحون بأنظارهم ويضطرون ، بين الحين والحين ، الى تغيير الارقام في « نظاراتهم » ـ بتشديد الظاء المفتوحة ـ وهم يصححون « البروفات » ؟۰۰ هل من ذنب الا أنهم اختاروا ، في سبيل الحياة ، صناعة « البحث عن المتاعب» ، في الحياة ۰۰؟ ۰۰

دمشق : سعيد الجزائري



النقد الأدبي بين ماضيه وحاضره

بقلم

الدكتور احمد كمال زكي

ربما يبدو غريبا أن أتحدث لك في النقد الادبي ووطننا العربي يصطرع بمشكلات مصيره وتحديد أهدافه غير أننا لو تعمقنا قضايانا لرأيناها تراثية عصريه ، ويعني هذا أن نصل أنفسنا بكل أسباب حضارتنا ــ فنا وعلما وسياسة وعقيدة ــ بشرط أن يكون هذا الوصل على شيئين :

الاول ان فهم واقعنا لا يتحقق الا بفهم ما ضينا ، ومن ثم اذا أردنا أن نجدد فلا بد أن نهضم القديم ونتمثله كي يصبح عصارة في دمنا أو بعض خلجات تفكيرنا .

الثاني ان هذا الواقع الممتد بجذوره الى الماضي قائم على تفكير أدبي أساسا ، لاننا نحن ــ سكان الشرق الاوسط من العالم ــ أقرب ما نكون الى الكمال عندما نفرغ للكلمة ، عندما ننفعل بتجربة ونعيشها ثم نعبر عنها بالكلمات . ولما كان ذلك هو الادب ، وكان للادب مقاييس يؤخذ بها فليس من شك في أن النقد الادبي يظل حديث الساعة شئنا أم لم نشأ .

ولعلك تذكر ما انتهينا اليه بشأن الادب ، وكيف جعلناه فنا في حين كان القدماء يجعلونه « صناعة » من الصناعات ، ويقصرون الفن على أنواع الشعر ، فيقولون فن الغزل ، أو فن الهجاء ، أو فن المديح . وليس من شك في أن ذلك حدد من دائرة النقد الادبي من ناحية ، وحصر هذا النقد بوجه عام ــ في تقويم المعاني والصور البلاغية وألوان الزينة من ناحية ثانية ، وتلك اعتبارات تتفق ونظرة القدماء الى التعبير الادبي .

فلما تغيرت النظرة الى الادب بضمه الى ركب الفنون ــ وهذه بطبيعتها تحس وجوها من النشاط الانساني لم يلتفت اليه القدماء ــ اتسعت دائرة النقد ، وكثر الكلام فيه ، وتسللت اليه نتائج بحوث علماء الجمال والاجتماع والنفس ، فضلا عن الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والاسطورة .

ولسنا نطالبك بان ترفض ما صدر عنه الاولون بحجة ضيق النظر ، وقيام بعض المحدثين بتصفية مباحث البلاغة ، فان ذلك يهدد كثيرا من الحقائق النقدية التي وصل اليها أمثال الباقلاني وابن جني والامدي وعبد القاهر الجرجاني ، وكانت قد ضلت طريقها الينا في عصور الانحلال الثقافي المعروفة في تاريخنا واستغنى عنها بتقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة المعروفة : علم المعاني وعلم البيان ، وعلم البديع .

وسنقدم لك مثلا واحدا لتدرك بنفسك قيمة هذا النقد . فان عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ هجرية وقف بالتحليل عند أبيات للشاعر كثير عزة ، ونبه الى طبيعة صياغته الشعرية ، ووضع نظريته في علم البيان على نحو فريد .

ويمكن أن تسمى هذه النظرية بنظرية النظم الجرجانية ، والى مثلها ذهب واحد من أعظم نقاد القرن العشرين في أوربا هو ريتشاردز الانجليزي ، وأصبح بها رائدا من رواد النقد في العالم . وتتلخص نظرية عبد القاهر في أن الاديب يعرف بأسلوبه في التعبير والتصوير ، بحيث ان الجمال لا يمكن أن يتحقق الا بترتيب الالفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، وان هذا الجمال الناجم عن ذلك الترتيب تتفاوت درجاته بحسب ما يقع فيه من استعارة ــ ونحوها ــ تجيء في موقعها لتصيب غرضها .

أرأيت كيف نحتاج الى مثل هذه الفكرة النقدية الناضجة ؟

من أجل ذلك لا نطالبك برفض القديم ، بل نسألك

أن تعلم أن بلاغتنا التي استوعبت محاولاتنا النقدية القديمة هي اليوم خطوة ضرورية من خطوات النقد الادبي الحديث ، نبدأ بها دائما على أساس أن النقد في أخص مدلولاته هو في **دراسة النصوص الادبية** . وليس يتم ذلك الا بالوقوف عند العبارات وفهمها وتحديد دور الكلمات فيها وتركيب هذه الكلمات في جمل تعبر وتصور ثم توصلك الى الحقائق الادبية الكبيرة التي لم يلتفت اليها القدماء .

وأبرز هذه الحقائق هو الاطار الفني أو الشكل وذلك في ضوء ما بذله المحدثون من محاولات تريد أن تثبت أن الادب في انقسامه الى أجناس كالقصة والمسرحية والمقالة والقصيدة يخضع كل جنس من هذه الاجناس لانماط ينبغي الا يعبث بها .

فكاتب القصة مثلا عليه أن يخضع لاصول كتابة هذا الجنس والمحافظة على الشكل الذي يتطلب أن يكون ثمة أحداث متطورة في مكان وزمان محددين وان هـذه الاحداث تتركب وتتعقد على قاعدة « الحبكة الفنية » ثم تنتهي بطرق معينة .

وستعرف فيما بعد ــ تفصيلا ــ أن الادب المسرحي يخضع لقيم شكلية تفرض على المؤلف استهلالا خاصا ، ووجود عقدة لموضوعه ، ثم ما يسمى بالتحول ، وذلك قبل وضع النهاية التي تقررها طبيعة الاستهلال .

وقل هذا أو مثله في المقالة الادبية والتاريخ الادبي والسيرة الادبية ، وأما الشعر فليس شيء أوضح منه دلالة على ما نريد ، فان له قيما وتقاليد اذا عبث بها رفض نتاج الشاعر . واليوم تتعرض القصيدة الجديدة ــ التي تصاغ في قوالب الشعر المرسل ــ لهجوم شديد من كثير من النقاد لانها لم تحافظ على النظام البيتي الذي تتحكم فيه القافية ، ولا بد أن يكون لهذه القافية روى ثابت الا في بعض حالات مذكورة . كان ينظم الشاعر على طريق الوشاحين ، أو يلجأ الى اطار المسمطات وما يجري مجراها ، علما بأن أغلب قدمائنا رفض هذه الرخصة وعدها عبثا بالشعر ..

الاطار الفني أو الشكل اذن هو أبرز الحقائق الجديدة التي يهتم بها النقد الجديد . وفي هذه الحقائق أيضا التدرج من الجزء الى الكل بحيث يكون النقد منهجا يتكامل باعتبار الموضوع الادبي وحدة متماسكة تصور تجربة تفرض ــ دائما ــ منطقا خاصا ، وهذا المنطق يتحكم في المشاعر بحيث يلونها لونا واحدا ينسجم مع طبيعة الموضوع ، وهذا ما يسمى في النقد الادبي الحديث بوحدة الشعور .

وثالث هذه الحقائق هو اخضاع العمل الادبي للمذهب الادبي ، ونعني به الطريقة التي يصور بها الاديب تجربته في ضوء تيارات تعبيرية مختلفة تسمى بالكلاسيكية والرومانسية والطبيعية والواقعية والرمزية والسريالية ونحو ذلك . والمذهب الادبي يضم طائفة متشابهة من الادباء ــ ولكن لكل أديب شخصيته الذاتية ــ كما تضم المدرسة خليطا من التلاميذ يؤدون جميعا عملا واحدا ، مع ذلك فان لكل تلميذ طريقته في التحصيل والتعبير ، وهو قد ينفرد بنفسه فتكون له بدايته غير أنه يظل في نهاية الامر مرتبطا بمدرسته وتلاميذها ومدرسيها وناظرها .

الى هذا لم يلتفت القدماء ، وذلك لانهم كانوا يعدون السلف أساتذة ، وعلى الخلف الا يجاوز ما وقف عنده الاساتذة . بل لقد اجترأ ناقد قديم ــ هو ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦ هـ ــ فلخص آراء من سبقوه في تقسيم قصيدة المدح أقساما بعينها ، وقال بعد ذلك كالآمر « وليس لمتأخر من الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام، فيقف على منزل عامر ويبكي عند مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي . أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لان المتقدمين رحلو على الناقة والبعير . أو يرد على المياه العذاب الجواري ، لان المتقدمين وردوا على الاواجن الطوامي . أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والاس والورد ، لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة » .

المهم ان فكرة المذاهب الادبية لم تكن مما اهتم به القدماء ، وأصبحت اليوم حقيقة من الحقائق الهامة . فاذا تركناها الى غيرها ، وجدنا المضمون . وهو غير الفكرة أو الافكار التي تكون الموضوع ــ فهذه وقف عندها الاولون في باب المعاني ــ وتبدو دائما في صورة سؤال يطرحه الناقد عقب قراءته العمل الادبي ، وهذا السؤال هو : ماذا يريد **الاديب أن يقول** ؟ وبعبارة أخرى ما الهدف الذي كتب من أجله ما كتب ؟

لقد أهمل النقاد تماما فكرة أن الادب مجرد تعبير انفعالي ، لان الانفعال ليس خاصة من خصائص الادب وحده . فأنت وأنا وزميلنا الجالس بيننا ننفعل ، غير أننا لسنا أدباء ، وانما الاديب هو الذي يقول لنا شيئا في انفعاله .. وهو بخط ما من التقدير السليم يمكن أن يجعل لهذا الشيء أثرا في المجتمع الذي يعيش فيه ، واذا كان عظيما مد هذا الاثر الى المجتمعات البشرية بعامة ، وما أكثر ما انفعل شاعر بقضية الرق أو اللون فهز انفعاله العالم وحرك الشعوب الى الوقوف في صفها أمام خصومها .. ولقد كتب عبد الرحمن الشرقاوي رواية « الارض » فحركت ناسا في أوربا مع أنها كانت صدى لموقف متأزم وقفه كاتب مصري من الكتاب .

هنا ظهر أن الاديب يمكن أن يؤدي رسالة ، ومن ثم

نشأت مشكلات حول طبيعة دور الاديب . هل يقول ما يريد أو يقول ما يتطلع اليه قراؤه بالصورة التي تتسع لمطامع هؤلاء القراء ومطامحهم ؟ هل الادب للمجتمع أو الادب للادب ، وأي الادبين أخلد وأجدى ؟ أترى يلزم الاديب نفسه بقضية أم تلزمه قوى خارجية بأن يلتزم بقضية أم ينفك عن هذه وتلك وينطلق بلا غاية - سوى الغناء - كالعصفور ؟

كل أولئك وما يتصل به أصبح شاغل النقاد اليوم ، وعلى أي الحالات يبذل الناقد الحديث وسعه لان يبحث عن المعاني الانسانية الكبيرة التي طرقها الاديب ، وعن المضامين التي يجد فيها الناس ما ينشدون من حولهم لمشكلاتهم . فان الاديب في الواقع - شئنا أم لم نشأ - يسهم في تفسير الحياة كما يفسرها العلم وكما يفسرها الدين وتفسرها الفلسفة ، وغاية ما في الامر أن تفسير الحياة في الادب وجداني فني ذاتي ، في حين هو في العلم تجريبي وفي الدين تسليمي وفي الفلسفة عقلي .

ومهما تتشعب اتجاهات النقد الحديث فانها اما أن تفسر العمل الادبي وتبين قيمته الجمالية وتحكم عليه في ظل قواعد مقررة سلفا ، وأما أن تحاول تفسير الادب محددة علاقته بالحياة وبالتجربة الانسانية التي يصدر عنها الاديب في هذه الحياة ، بالاضافة الى وضع القواعد التي تفيد في عمليات التفسير . النقد الاول نقدا تطبيقيا ولا جدوى كبيرة من ورائه غالبا ، لانه يعتمد على ذوق الناقد وملكاته الشخصية التي قد يميل بها الهوى . والنقد الثاني يسمى نقدا تشريعيا ، وعليه يتوقف نمو الادب وتقدمه ، لانه يخلق فكرا نقديا يقطع في القضايا الادبية جميعا ، ويبين أمثل الطرق التي يتبعها الادباء . والناقد هنا مقيد بموضوعية العلم ، وان يكن لا يتعبد الذوق الذي يعد دعامة الفهم ، وتكون آراؤه منزهة عن الغرض وقادرة على التأثير البناء .

ولا يزعمن أحد أنه يمكن الاستغناء بالنقد التشريعي عن النقد التطبيقي ، فالاثنان ضروريان في حياتنا الادبية، وكلاهما يشارك في تشكيل الادباء وتوجيههم . وان يكن المعول دائما على التشريعين ، لانهم القضاة العدول والهداة الصادقون ، يأخذون أماكنهم في المجالات المتخصصة داخل الجامعة ومعاهد الفنون - وقد يكتبون في بعض المجلات الرزينة الرصينة - بينما يكثر التطبيقيون في الصحف والمجلات العادية وسائر منابر الاعلام ، يلاحقون الناس بالتعريف السريع والحكم الاسرع على الاعمال الادبية ، بنظرات جزئية قلما تعمم ، وليس من رصيد لهم يعتمدونه سوى حصيل ما يتناثر من المشرعين .

هذا التخصص أو ذلك الفصل بين الناقد التطبيقي والناقد التشريعي هو أول مايحدد النظرة النقدية الحديثة. ولما ازدادت عناية النقاد بعلوم العصر الانسانية فاتسمت بذلك افاقهم ، رأوا أنه لا بد من فهم طبيعة الروح الجديدة وطبيعة الحقيقة القائمة في عالم اليوم على أساس الايمان بأن العالم متغير والحقيقة لذلك نسبية . ومن ثم فان التعبير عنها أدبيا يعني تصوير انطباع ما عن تجربة متميزة تساعدنا على اكتشاف ما قد يخفى علينا من معاني الاشياء .

وبديهي أن هذا لايتم عن طريق تصوير الواقع وانما يتم عن طريق تحليل الواقع وتمثله ، ثم قبول جوانب منه ورفض جوانب أخرى ،وايثار طريق فيه غير مطروق على طريق يكثر الضرب فيه . وعلى ذلك لا ينبغي أن يطالب الناقد أدبيا باستيعاب كل القيم التي يعيش بها المجتمع فيتغنى مثلا بالمثل الاخلاقية أو بمعاني الطبيعة أو بمعاني البطولة بالكفاية نفسها التي تلاحظ في تجسيد رؤيته للشر أو لافول الحياة بوجه عام . ومن هنا لا يلزم الاديب بأن يقول الشيء الذي يعجب الناقد وحده ، فلا يكون هناك متأدب كابن قتيبة يرفض قول الشاعر التالي :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المطايا رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الاباطح

بحجة أنه خال من كل معنى مفيد - أي بلا فكرة محدودة - مع أننا اذا تدبرناه على ما نحو فعل عبد القادر الجرجاني، وجدناه تصويرا فنيا رائعا . فلا نملك في ضوء ما يراه المحدثون الا أن نقول ينبغي على الاديب الا يسمح للافكار بأن تطغى على التجسيد الفني لها ، حتى ولو كانت هذه الافكار من قبيل بيت أبي ذؤيب الهذلي المشهور :

والنفس راغبة اذا رغبتها
فاذا ترد الى قليل تقنع

فثمة فكرة أخلاقية ، ومادة الشعر عادة ليست الافكار ولا المعاني الاخلاقية ۰ بالاضافة الى أن في هذه المعاني ما لا يمكن ارضاء كل الناس به ۰ والادب من حيث هو فن يسعى الى الكمال ، وذلك بابراز عناصر الجمال ۰

كل هذا يفضي بنا الى ان نقرر أن النظرة الجديدة في النقد لا تملي على الاديب شيئا أكثر من أن يكون صادقا مع نفسه ، وأن يجسد تجربته في صورة متكاملة يمكن ادراكها لاستشفاف عالمه المتفرد ۰ ودليل الصدق هنا هو التطابق التام بين المادة والشكل ، وأي عمل أدبي لا يتحقق فيه هذا التطابق لن يكون أكثر من اشارة الى « أفكار » أولى أن يعبر عنها بوسائل أخرى غير وسيلة الفن الادبي ۰

وتذهب هذه النظرة الجديدة الى أكثر من ذلك ، تذهب الى ان النقد في جوهره تفسير وتقويم وتوجيه للادب ۰ وهو في أداء كل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث يأخذ منهجا متميزا في البحث ، ويصل الى نتائج تتفق وطبيعة الادوات الفنية والعلمية التي اعتمد عليها في تطبيق هذا المنهج المتميز ۰

– **فالتفسير** : يتعرض للعمل الادبي من أجل الكشف عن ابعاده ، ومعرفة مصادره ، وتعيين خصائصه الفنية ، ثم تحديد أهدافه ۰ وأكثر ما يكون ذلك في الشعر وبخاصة ، وفي الانواع الادبية التي تستخدم الرموز والاساطير بطريقة ينجم عنها ضرب من الايهام أو التعقيد ۰

فمسرحية **قدموس** التي أشرنا اليها في تاريخ الدراما العربية لاختطاف « يوروب » بنت لبنان الفاتنة ، واستسلامها تحت تأثير عواطفها ، فتنسلخ نهائيا عن قومها ۰ في حين يراها الناقد عملا استهدف به مؤلفها سعيد عقل تجسيد مفهومه الخاص لواقع بلد وتاريخه ، من حيث أن لبنان مركز اشعاع وأصل حضارة لا تزال قائمة في أوربا الى الان ۰

ومأساة الحلاج التي قدمها صلاح عبدالصبور للمسرح ليست في حقيقتها تصويرا للظلم الذي يدمر كل القيم والمعاني الشريفة ، وانما هي – عند الناقد المفسر – تأكيدا لحرية الكلمة وأبرازا لدورها في عمليات البناء المنشودة لاي مجتمع من المجتمعات ۰

وكذلك الحال في مسرحية توفيق الحكيم «أهل الكهف» وقصيدة خليل حاوي الكبيرة « بيادر الجوع » ۰ كلتاهما تتحدث عن شيء يبرزه ظاهرهما بينما يتبين الناقد أن مؤلفيهما يقصدان الى شيء اخر : توفيق الحكيم لا يروي حكاية الاضطهاد لمسيحي مدينة طرسوس – في آسيا الصغرى – ونومهم في حراسة كلبهم داخل كهفهم مدة ثلاثة قرون أو نحو ذلك ، وانما يرى أن الحياة لا تكون حياة الا بوجود روابط حقيقية بين المرء وعصره وزمانه ۰ وخليل حاوي لا يصوغ حكاية لعازر دراما – وهو الشخص الذي أحياه المسيح بعد موته وانما يناقش قضية الاطاحة بالوحدة التي تمت بين مصر وسوريا ، وكانت قد وجدت في ظروف غير مواتية فقضى عليها ، تماما كما وجد لعازر نفسه غريبا بين قومه الذين بعث فيهم فاثر أن يموت ، وما أشبه هذه الوحدة بأهل الكهف الذين جاءوا الى الحياة والموت يسري في عروقهم ۰۰

والامر على أي حال يدل على ان تفسيرات النقاد للاعمال الادبية تشارك مشاركة ايجابية في اثراء الاعمال الادبية وتقديمها للقراء على نحو يهيىء لهم معارف متنوعة ، ولا سيما عندما يستعين النقاد في تفسير الظواهر الفنية وخصائصها بدراسات مختلفة عن البيئة – ماديا ومعنويا – وتواريخ الاجناس الادبية في اطار تطور المجتمع ورصد تقاليده ومعرفة أفراده بالقدر الذي قد يوصل البحث الى التجسس على حياتهم الخاصة ، ولا سيما اذا كانوا هم الادباء المنتجون ۰

– **وأما التقويم** : فيعني اعطاء العمل الادبي حقه من التقدير ، أي تحديد قيمته جماليا واجتماعيا ۰ وبعبارة أخرى الحكم على العمل الادبي بالجودة أو الرداءة ، بالحسن أو بالقبح ، باصابة الهدف أو عدم اصابته ، ونحو ذلك ۰ وهذه المعايير عادة ذوقية وخاصة ، ولكن تضبطها موهبة الناقد التي تقدر بدقة طبيعة العلاقة بين الموضوع والشكل على أساس أنهما يصنعان معا كلا واحدا ويؤثر احدهما في الاخر ، والتي تقدر من ناحية أخرى أن الادب في جوهره تجسيد قوي لتجارب يمكن أن تقول شيئا في صالح الانسان ويمكن أيضا أن تقف عند حد الامتاع أو تهيئة الجو الترفيهي الذي يجده المرء عادة في صديقة ما أو على شاطىء بحر أو بين مروج مسرعة ۰

وتثار هاهنا قضية تلعب دورا جوهريا في اعطاء القيمة ، فانه على الرغم من مطالبة الناقد بحسن تقدير العلاقة بين الشكل والموضوع – لتتحقق بذلك حيدته في

الحكم ـ فان من النقاد من يتحيز الى الشكل فيعطيه كل أهمية في عمليات البناء الفني لاي عمل أدبي ، ومنهم من يجعل للموضوع ـ أو المضمون ـ كل أهمية ٠

أما الشكليون فانهم يسمون عباد الجمال وعشاق الفن ، وطالما رفعوا شعار الفن للفن أو الادب للجمال ، يقصدون جمال الصياغة ٠ وقد لاحظ بعض النقاد أن هؤلاء كانوا في جملتهم شعراء وصافين وليس أكثر ، غير أن شعارهم اتخذ ذريعة لابعاد أية مسؤولية عن الاديب بعامة بدعوى أن طبيعة الفن ترفض الخضوع لاية قوة تلزمه بأي شيء ٠

وأما أنصار الموضوع فهم يرون أن مضامين العمل الادبي هي الغاية الاهم ، وان طريقة صياغتها تأتي في مرتبة ثانوية ٠

والواقع ان العناية بالموضوع أو المضمون قد تضاعفت على أثر مشاركة الاديب في الحركات السياسية والفكرية والاقتصادية التي ما فتئت تجتاح مجتمعات القرن العشرين ، فمن انسانية الى ليبرالية الى ماركسية الى وجودية ، الى غيرها من تلك المذاهب التي تخلق لها مقاييس خاصة في ظل مبادئها المقررة لتحقيق كل أهدافها ٠ اذ ليس من شك في أن ما سعى اليه الانسانيون يختلف جملة وتفصيلا عما سعى اليه الوجوديون ، على الرغم من أن الاتجاهين ينزعان الى تكييف موقف الفرد في الحياة ٠

الاولون يفرضون عليه مجموعة من الضوابط بدعاوى أخلاقية وسلوكية مختلفة ، منها الاتجاه به الى السماء بعد أن طال تقلبه ـ بين نفسه والطبيعة ٠ والاخرون يؤثرون الاتجاه بالانسان الى ما يحفظ حريته وما يعطيه الفرصة من أجل أن يحقق ذاته على أساس عدم وجود قيم متوارثة لها صفة اليقين ، ومع ذلك ينبغي ألا ينسى تضامنه مع كل البشر ٠

من هنا لا بد أن يكون الادب هادفا والاديب ملتزما ، فليس الادب للادب وانما الادب للمجتمع أو الحياة ، وليس الاديب حرا ولكن الاديب ملتزم ٠ ومن واجب الناقد أن يركز على ذلك دون أن يتوقف عند الحد الذي يجعل نقده تأثريا يعتمد على الذوق والتحكمات الجمالية التي تخفق غالبا في الكشف موضوعيا عن الاصول الفنية التي اختارها الاديب واستخدمها لتحقيق هدفه ٠

وعن هذا الخصام بين أولئك وهؤلاء وجدت فئة ثالثة من النقاد ترى أن تقويم العمل الادبي يجب أن يتم بتقدير الشكل والموضوع ـ أو المضمون ـ كوحدة لاتنفصم لان الشكل انما يتشكل بموضوعه ، والموضوع كمادة أو كمحتوى يخضع دواما للشكل ٠ ومن ثم لا بد أن يستند الناقد في تقويمه الى منطق العمل الادبي نفسه من حيث أنه وحدة عضوية نامية ٠ ولا داعي للاستعانة بمادىء أو نظريات تسلط عليه من الخارج ، الا اذا كانت هذه وتلك مما يخدم الناقد في أداء مهمته ، ولا توقعه تحت تأثير مباشر لفلسفته أو وجهة نظره السياسية أو الاقتصادية أو العقيدية ٠

ويبدو أنه لا غبار على هذا الموقف الوسط ، اذ لا يوجد في الواقع ناقد يحكم بالصحة أو بالخطأ أو بشيء من هذا القبيل الا اذا استند الى ثقافات شتى يأتي بها من خارج العمل الادبي لتعينه وتسدد خطاه مع مراعاة شيئين: الا يغلب فلسفته الخاصة الى الحد الذي يفقده حياده ، والا نغفل الناحية التأثرية لانها أساسية في كل نقد ٠

٣ ـ فاذا انتقلنا الى عملية توجيه الادب والادباء ، وجدناها نتيجة طبيعية لعمليتي التفسير والتقويم ، كما أننا نجدها في كل نماذج النقد التي وصلتنا من العرب والمسلمين ومن الاوربيين ٠ فابن قتيبة يوجه الى منهج القصيدة المثالي ، وأبن المعتز يلفت الى كيفية استخدام البديع ، والجرجاني يحدد طبيعة الصياغة الجملية ، وأرسطو الفيلسوف اليوناني يرشد الى الطريقة المثلى في بناء المسرحية ، وفيكتور هوجو الشاعر الفرنسي ينبه الى الرومانسية ومكسيم جوركي القصاص الروسي يروج للواقعية ، وسارتر الفيلسوف الفرنسي يبشر بالوجودية ٠

لكن الشرط الوحيد لضمان سلامة التوجيه ـ بعد الجيدة المقررة ـ هو خلق الفكر النقدي الذي يحاور فكرا نقديا آخر ، بمعنى أن تكون هناك آراء تصطرع ، ونظريات تتشابك ، ومن خلال الاصطراع والتشابك نتبين الطرق التي يختارها الادباء ليسيروا فيها محققين شخصياتهم ومكملين جوانب النقص فيهم ٠



دمشق .. الشراع الحادي

سليم الزركلي

تباركت يا موطن الأكرمين   وبوركت يا جنة الفائزين

ويا دار أهل النهى والوفاء   ويا دوحة الرشد والراشدين

ويا أم تلك العهود الوضاء   ويا مهد هذا الضياء المبين

حملت المشاعل للأولين   وصغت المفاخر للآخرين

طويت العصور مع الكبرياء   تحدين من جشع الطامعين

وجزت الدروب مهالك تردى   فكانت مراقي للفاتحين

« دمشق » ترعرع فيك الزمان   يعب الخلود مع الخالدين

ويلثم أقداسك الطاهرات   يطيل السجود مع الساجدين

وينشق فيك الشذا العبقري   صفاء الربا ونقاء الجبين

حذقت النضال ، وبذل الغوالي   فهان الفداء على المفتدين

وما طال ، في حلبات الكفاح   علاك الجبابرة الراصدون

حبوت الاباء فنون الأباة   فراح يدل على الرادعين

وأطلعت في كل أفق شموساً   تضيء المسالك للطامحين

وواثبك الدهر بالحادثات   فحم القضاء على الواثبين

حضنت المروءة في « الغوطتين »   وصنت الكرامة في « قاسيون »

ورضت البطولة تأبى الهوان   فكنت الكناس ، وكنت العرين



تصابي

للدكتور : وجيه البارودي

« ان الشباب يصبو ، ولكن الشيخ يتصابى وبخاصة اذا كانت ملهمته لم تعانق العشرين بعد » .

أخصبت أيامي وكن يبابا ... وأسلت كوثرها وكان سرابا

فاجأتني بصبابة وصبا ولم ... أحسب لبعث المبهجين حسابا

ما ان صحا قلبي من اعنف سكرة ... حتى انبريت له .. فهام .. فذابا

أصبحت في العشرين .. جنت شرّتي ... واهتز طيشي .. وامتلأتُ شبابا

وزهوت في الثوب القشيب فمشيتي ... وثب ... ولحظي يأسر الألبابا

حولي الألوف..فان دعا داعي الهوى ... عفت المكاسب وانطلقت شهابا

أغزو ممالك للجمال حصينة ... ان فاتني وصل .. غنمت عتابا

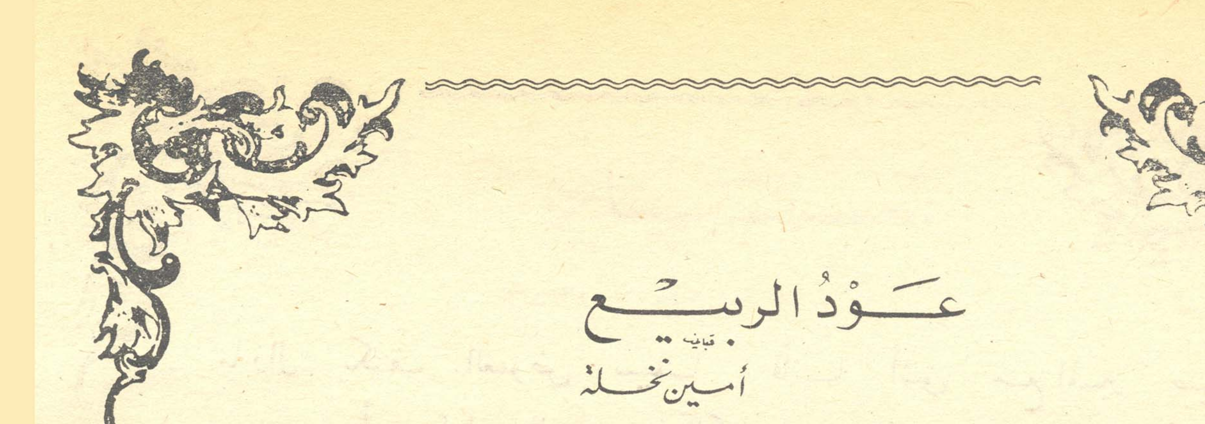
ولربما فاقت حلاوة عتبنا ... ما لذ من متع الوصال وطابا

وكم التمست الصفح بعد تجرؤ ... فأجبت في خجل : فعلت صوابا

ولقد يطول بك التردد فترة ... تتململين .. كمن درى وتغابى

والقلب بين غنيمة .. وهزيمة ... نكراء كالملهوف يقرع بابا

ما زال يكتنف الغموض سبيلنا فأنا أشق مع المسير ضبابا
بوحي .. أبح لك بالهوى ، فالكبت معصية يهد عقابها الاعصابا
لي عين رادار تبين في الدجى ما دق عن عين البصير وغابا
فأراك راضية .. وان لم ترضخي وأرى فتور الملتقى ترحابا
وأرى السكوت عن التمادي حافزاً ولعل نفيك يضمر الايجابا
فتنكري لي كيف شئت .. حبيبة لي أنت ، أرخص حبك الأحبابا
فهجرت أحياء الأحبة كلها وذرعت حبك جيئة وذهابا
الصبية الأغرار والجيران .. قد ألفوا الغريب فأصبحوا أصحابا
وكم استغاثوا بي فطرت ملبياً فكسبت عطفك واغتنمت ثوابا
زعموا ظلالاً حبنا وسفاهة قد ضل من عاف الضلال وتابا
الحب طورني فعدت مراهقاً كالذئب في نهم وأفتك نابا
هذا شباب عارم لا تنتهي رغباته ، ومتى سألت أجابا
فسألته يوماً جناحي طائر لأطير مكتشفاً ، فكنت عقابا
حلقت في جو الجمال ، وكلما حوّمت في شعب كشفت شعابا
فوجدتني في لجة من بحره الـ طامي أغالب موجه الصخابا
ملأ الوجود محاسناً ومفاتناً وجرى رحيقاً مسكراً ورضابا
سحر يعيد المر فرط حلاوة ويحيل أيام العذاب عذابا



عَوْدُ الربيع

بقلم

أمين نخلة

جاء الربيع وحرك الغصنا ... أين الربيع وأين ما كنا ..

عودي فقد عاد الربيع، وقد ... عاد الحمام، وقد تعاتبنا

عودي فقد عاد الربيع .. لنا ... همس الربيع وغمزه عنا

أنفاسه منا ورقته ... منا، وجر ذيوله منا

تدعوك خلف السهل رابية ... كانت لنا ولحبنا مغنى

ذكرت شبابينا فما نسيت ... قدما، ولا صوتا بها رنا

خضراء، مر بها الربيع، فما ... أحلى، وما أشهى، وما أهنى

أشجارها غرف مهيأة، ... بالشمس، أو بغمامة تبنى

جعلت لنا في كل منعطف ... حضناً، وكل مظلل حضنا

يا درب نفح الطيب، وجهتنا ... أرض الكناري الذي غنى ..

يا غصن، يا مضنى بلا سبب ... مل حولنا .. يا غصن .. يا مضنى

يا نرجساً نعسان من وله ... قم من فراش الغنج غازلنا

يا عشب، يا نقش الوهاد، ويا ... لج المروج وبحرها الأدنى

جئنا بركب الحب ننزله ... في دارك الخضراء - أنزلنا ..



طلائع النهاية

وصفي قرنفلي

حسبي ، فهذا دمي قد جف ، وانأدت خطاي ، وانطفأت في دربي الشهب

أمشي مع الدرب ، حيران الخطا قلقاً والتيه يجهش في قلبي وينتحب

جف البيان ، فكان الورد في شفتي وكنت ، ان قلت شعراً ، برعم الأدب

تمر سمراء ، ان مرت ، فيتبعها طرفي فيكبو ، فيفضي ، والهوى تعب

ويزأر العصر احداثا ، فألجمها بالصمت كالقبر ، لا شوق ولا غضب

وكنت ـ اذ كنت شعراً ـ كلما ومضت شبا الحوادث ، كالتيار ، أصطخب

ان قلت فالعرب الاحرار في قلمي كأنني ـ وأنا منهم ـ أنا العرب

● ★ ●

على الشفاه ـ ومالي لا أدل بها ـ قصائدي خمرة ، أو نكهة ، عجب

● ★ ●

صحا السراب ، فنام الشعر في كبدي كان السراب منى ، ان المنى لهب

الكأس تلهث في كفي ، وقد ظمئت والصمت متكىء ، كالكأس مكتئب

ياذكريات اسكبي في الكأس ، مضطرماً كالنار ، من أمسنا ، يضحك بها الحبب



خبت ليالـيَّ ، الا من تنهـدة تئن ثـكلى ، والاَّ ، خافقـاً يجب

● ★ ●

حسبي ؟ وأفرغت كأسي في قرارتهـا أفرغت دنياي ، لا جـد ولا لعب
أحس ـ ان ملت بالصهباء أسكبها ـ كأن عمري ، وراء الكأس ، ينسكب
أرى النهاية خلف الدرب تومىء لـي تخب نحـوى ، ومشيي نحوها خبب
واليأس ـ هذا الفراغ الميت في كبدى ليـل تساوي لديـه ، البعـد والقرب
العقم ، والليل ، والصحراء ، تلك أنا حتى ، كأني ، الي المـوت ينتسب
قلبي (كنرجيلتي) ، يفضي على حلم قل ، يا رماد ، ترى هل يورق الحطب

● ★ ●

يا درب، عد بي، فصاح الدرب، واحزني وأطرق الشيب يبكي ، فاتك الطلب
هيهات ، أو يسترد النبـع جدولـه ويورق الشوك ، في عنقوده عنـب
اذا الشباب مضى ، فالعمر ، اطيـه مضغ الرمال ، سراب طعمـه كـذب

● ● ●

ماذا ؟ ومات سؤال لا جواب لـه ، ومال هدب ، وأغفى ، لا يرى ، هدب

أمل

ياسين فرجاني

لونت من ألق السنى شعري ومن أرج المنى
ونثرت أشواقي هنا وزرعت وجدي ها هنا
وقطفت من روض الرؤى فل الهوى والسوسنا
حلقت .. قلبي طائر ضاقت بفرحته الدنى
مد الجناح وغاب في درب الشموس .. وأمعنا
حتى اذا عصف الخريف وراح يجتاح الجنى ..
زحف الظلام على مغاني أيكنا واستوطنا
وتفرق الشمل الجميع وحال نأي بيننا !؟
يا حبنا .. عاد الربيع ولم تعد يا حبنا
للم طيوفك ، زفها نعمى على أجفاننا
غن الصبابة ما على البشرى اذا طافت بنا
نحن الذين على الوفاء نظل نحفظ عهدنا
نمضي ويطوينا الفناء وذكرنا يطوي الفنا
الحب الهام وابداع ووحي .. عندنا
الحب اشراق ينور في الدياجي دربنا
ان لامس الجدب الموات زها ـ وأورق أغصنا
أو مر في رفق على صخر تفجر أعينا !
يا ليلنا الداجي تزحزح .. لا تطل يا ليلنا
الفجر لوح بالشروق وموعد اللقيا دنا .. ؟



شقــــراء

بقلم
ناجي مشوح

الشهوة الحمراء كم ومضت بها عيناك .. فانتفضت على الاهداب
شقراء .. ردي الكأس لست بظامىء للكأس .. غب تبتلي ومتابي
لا تذكري الماضي المدمى ليت لي من دون ماضي اللهو ألف نقاب
أشباحه الحمراء تصرخ في دمي وتطوف لاهثة على أكوابي
شقراء يا شقراء كم من ليلة مرت على شكوى ومر عتاب
ذوبت في شفتيك زهو فتوتي وتخذت من خمر الجنون شرابي
شقراء .. مهلا قد سئمت غوايتي ما عريك الجذاب بالجذاب
صوني الجمال المستباح فلم أعد أصبو الى لقيا الجمال الكابي
هذا شبابي قد سفحت عطوره في وجنتيك فهل رحمت شبابي ؟
الحب يا شقراء ما طلقته فالام تغريني بعذب رضاب ؟
ذكراه ما برحت ترف بخاطري رفافة الألحان والأطياب
شفتاك عربدتا بحلم موجع مجنونة الزغبات والتصخاب
فحصدت أشواك اللذاذة منهما ورجعت دامي الخطو بالأوصاب
متعثراً بتمنعي وطهارتي كتعثر السكير بالأكواب ..



الزوارق التائهة

بقلم

ممدوح مولود

كنت أبغي العتاب لولا وفائي   لظلال ندية الأفياء

كنت ابغي العتاب لولا عهود   غاليات جديرة بالوفاء

كيف ابغي ترى العتاب لروض   أسكر الدرب بالشذى المعطاء

كيف ابغي ترى العتاب لفجر   نور العمر بالسنا الوضاء

كيف ابغي ترى عتاب ربيع   ماج بالعطر والصبا والرواء

كيف ابغي ترى عتاب سماء   علمتني ابهى معاني الرجاء

كيف ابغي ترى عتاب ظلال   وارفات تموج بالايحاء

كيف ابغي ترى عتاب صباح   راح يغزو الوجود باللألاء

كنت أنوي العتاب لولا عهود   غاليات جديرة بالوفاء

كنت أنوي العتاب ثأراً لجرح   غاص في القلب موجع الأصداء

ربما غاب عن ظنونك أن الجرح   يوما قد غاص في أحشائي

كان ظني أني بعينيك أسمى   مثلما كنت سادرا في دعائي

كان ظني أني بأيديك أغلى   مثلما لاح في دنى خيلائي

كان ظني أني لديك أثير   مثلما طاب لي اليك انتمائي

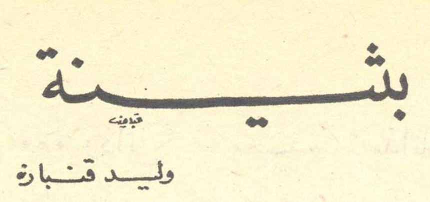
فجع الظن فجأة باتهام   ألف ظلم به وألف اعتداء

لكأني أرى التحدي ولا أقوى   على رد طعنة نجلاء

أنا لا أتقي التحدي لكن   أتقي الطعن في جلال الاباء

ان نفسي تأبى الاساءة مهمـــــا بالغ الناس حولها في العــداء
سامحتك السماء ما كان يرجـــــى منــك سهم يغوص في الأحشــاء
كيف ترضين باتهامي ظلمـــــا وابتلائـي بكل هـذا البلاء
كيف يرضى ترى البنفسج ســوءا وهو شلال أجمـل الايحـــاء
كيف ترضى ترى الزنابق شـــرا وهـي عطـر الخمائل الفيحاء
كيف يرضى ترى الشقـاء مـلاك شاءه اللـه رحمة للشقـــاء
يا لسهم أصاب جرحين مني نبـل قلبي وعزة الكبريــاء
أنا لم أقترف بأيديك ســوءا وكفاني بــذاك بعض العـزاء
أنا لم أقترف بأيديك شـــرا يقتضي الطعن في صميم الابـــاء
انـا لـم أقترف بأيديـك الا البـريسخو بكل معنـى السخــاء
أنا لـم أقترف بأيديـك الا الـود ينمـو وراء ظـل الوفــاء
كان قلبي ما بين عينيك نهـــرا يتهادى مخضوضـر الأفيــــاء
كان يشدو مغردا في ظـــلال ناضرات شهية الأنـــداء
كان قلبي قصيـــدة أسكرتهـــا بـين عينيـك أنهر الصهبـاء
كـان يخفي هدية لك لا بخـرى بهـا من عـداك بالاهداء
كان قلبـي فراشـة أنت دنيـا ها وفـردوس شوقهـا المظمـاء
كان أغلى هدية لك لكـــن ما تراني أهدي بحق السمـــاء
كـان قلبي هديـة لك لـكن بات أشـلاء طعنة نجـلاء
أفيرضـــى ترى المسيح بقلب يتهاوى مضرجـا بالدمـــاء
سامحتك السماء كم من بـرىء في ضحايا قوافـل الشهـداء







بثينة

وليد قباني

صغيرتي في عامها الاول ، وقد حلمت بها قبل ولادتها .

بثينة .. يا حبيبة خافقي يا — شعاعاً قد أنار دروب عمري

رأيتك قبل أن تأتي طيوفاً — حسانا في حنايا الفكر تغري

فكم مثلت شكلك في خيالي — وكم أطلقت في الآمال ثغري

وها قد جئت فوق رجاء نفسي — ملاكا في دجى الأيام يسري

اذا ما افتر ثغرك في ابتسام — ضحكت اليك في سري وجهري

وان كاغيت أو ناغيت لحناً — تراقص خافقي واهتز صدري

وان ناديتني بلغاك : بابا — تفتح في فيافي العمر زهري

أعيدي قولها يا روح بابا — وغذي قلبي الغافي وفكري

ففي تردادها محو لهمي — وفي أنغامها كأسي وخمري

● ★ ●

بثينة .. هل هناك بأي مصر — فتى قد نال أوطاري وبشري ؟



فأنت هديتي الكبرى ... وذاتي … مجسدة بذاتك دون حصر

أرى عينيك أمسي قد تهادى … والمح في الثنايا الغر فجري

وأبصر في الصفاء صفاء روحي … وألقى في ابتسامك سعد دهري

متى ألقاك صرت فويق عشر … ورحت تنافسين «ضياء» بدر ؟[1]

جدائلك الحسان تموج دلا … وتغمر روض أحلامي بعطر

ومحفظة الدفاتر قد تثنت … على جنبيك في فن وسحر

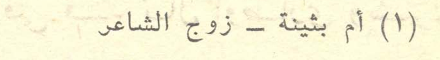
فهل ترضين أثواباً طوالاً … أم «الميني جيب» أفضل دون عذر

وهل تعطين سمعك كل نصح … أم الأوهام والنزعات تغري ؟

دعيني يا بثينة في خيالي … لأقرأ حالماً صفحات عمري

فأنت النفحة المعطاء عندي … وأنت الباعث الأقوى لشعري

وفيك النور للقلب المعنى … وفيك لقاء ايماني وكفري



(١) أم بثينة ـ زوج الشاعر

أنا ... وأنت .. والسراب

رضوان حزواني

حلم أنت في رفيف الجفـــون   أم سراب ، ونمنمات ظنـــون ؟

أنا كم عشت في ظلالك أتلـو   آية الشوق والهوى والجنـــون

كم شراع نشرته في مدى عينيــك بحثا عـن شاطىء ميمـون

سبح الشال للحريـــر وغطــاه ، فأغرمت بالجمـــال المصـون

أنـــا أهـواك ، لا الجمـــال وان كنت مثال الجمال والتكويـــن

أنا أهـــواك أنت ، لا برعـــم الثغر ولا خطرة القـوام الرزيـن

أنا أهـــواك أنت ، لا رفة العطر ، ولا عالم الـرؤى في العيـون

أنا أهواك أنت ـ يا نبع أحلامـــي ـ بما فيك من صدود ولـين

وبما فيك من ضياع وأمـــن   ووعود « كذابة » وفتـــون

أنت ـ آه ـ وكيـــف أدرك ما أنت ، وأنت الرجا وجرح الشجـون ؟

من ترى أنت ؟ مرفأ فيه أمني ؟   أم بعينيك غربتي وسنونـــي ؟

أم ترى أنت لوعتي وعذابـــي   أم رجائي ، قيثارتي ولحونـــي ؟

يا ابنة الروح من ترى أنت؟قولي!   ظلمة الشك ؟ أم ضياء اليقـين ؟

لم ألقى دنياك لمع ســـراب   يتلاشى ـ اذا قصدتك ـ دوني ؟

لم ألقاك من ضباب ووهـــم   كلمـا تقت للمكان الحنون ..؟

ربما أنت سبحة مـن خيـــال   أبدعتها هواجسي وظنونـــي

ربما أنت أمنيات شفاهـــي   وعيوني وأزهري وغصونـــي

ربما ربما تكونين حلمـــا   يتهادى على ضفاف عيونـــي

أنا أرجوك لو تظلين حلمـــا   أتقراه هانئـاً بجفونـــي

ان في لمع الســراب حيـاة   ونعيماً رغم اللظى المجنون

اليك أضرع للشعر

تباعية

محمد مصطفى درويش

على شريط دمي ، سجلت أغنية
للحب ، ليلية الايقاع ـ فاستمعي

يا وردة في اناء الصمت باكية
تفتحي كجراح الليل ، في وجعي

بك الاصابة قد باتت محققة
أخاف أشفى؟احرقيني،في دمي انزرعي!

عيناك جرعة حزن ، لست مرتدعاً
عنها ، وليس دمي عنها بمرتدع

ماذا أسميك ؟ قال النهر : في قدمي
قيد من الماء ، قهري ـ البحر ليس يعي

برأس حبك ، حتى الحزن طالبني
كوني: رياحي، اضيئي تربتي ـ اقتلعي

محراث نهديك شق النبض في جسدي
فعشبي كلأ الأعصاب ، وانتجعي

ماذا أسميك ؟ ليس الليل تسمية
تليق بالسيل ، يغزو كل مرتفع

ماذا أسميك ؟ أدنو منك ـ تصعقني
مسافة من أسى ، أو خطوة الجزع

ماذا أسميك ؟ غاصت في خطوط يدي
تلويحة ، لبستها رقصة البجع

ماذا أسميك ؟ في عينيك مغلقة
حقائب الصمت ، مفتاح الحنين معي !

وهل يجرد شعر من غوايته
وهل سواه ، على كفر ، بمتبع ؟!

لو سار في صمته ، أو في الجراح سوى   في حبك المستحيل ، الصعب ـ لم يقع

لا تنفخي في رماد النبض ، يا رئة   لم تبق في دمه جمراً ولم تدع !

وكيف تحجب عني نهدها ؟ وأنا   أخرجته من طقوس الزهد والورع !

أنا شهيد اغتراب الروح في جسد   عن كل شيء، كجذع الريح، منقطع؟!

أسميتك : الحب ، قلت : الليل موعدنا   ولو لمؤتمر للعاشقين دعي !!

يا غيمة تحت ثوب السهرة ، اشتعلت   في عري نهد ـ كخيل البرق ـ مندفع

عكفت في غرفة الليل الجريحة ، لي   سرير نهديك ـ عنك العفة انتزعي !

تجمعي تحت ضوء الشمعة ، اغتسلي   كالليل -في رقصها المجروح-، واضطجعي

أنا ابتدعتك ، قبلي كنت مهملة   يا بدعة ، لم تضف شيئاً الى بدعي

أنا خلقتك من شعر لتقتتلي   كالنار في يبس أعصابي ، وتصطرعي

فتشت عنك دمي ، أوراق ذاكرتي   كي تؤمني بعذاباتي ، وتقتنعي !

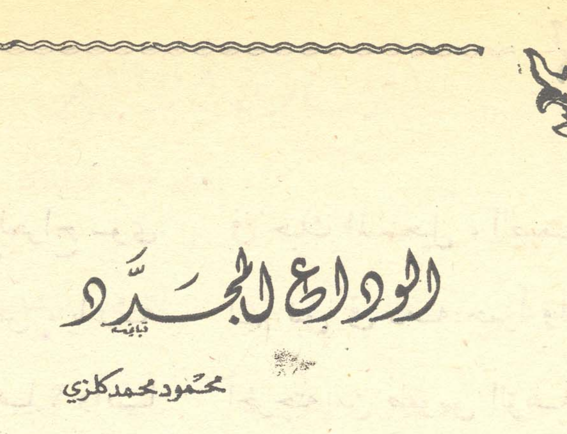
اذا ابتليت بغير الحب فاستتري   لا تصبحي من دمى صمتي،ومن سلعي

دمي : بطاقة بحث عنك ، يحزنني   أن تهربي من كرياتي ، وتنخدعي

ترجلي ، غيمتي العذراء من مطر   مشقق كشفاه الصيف ، مصطنع !

سيفي أسميك ، ضميني ولو قطعاً   ثم انحتي نصباً للعشق من قطعي

اليك أضرع ... لا للشعر ، يشمت بي   فباركي سر حزني ، واكتمي ضرعي



الوداع الجديد

محمود محمد كلزي

حين أومـأت باليـد   يا منى قلبي الصـدي
وتناءيت موعـدا   في الرؤى .. خلف موعد
رف في البـال خاطـر   مورق تـاه في الغـد
وتبسمت .. ياضحـى   لملم النـور وابعـد
وعلى الثغر برعـم   أحمر لم يورد
ألف رؤيـا تمرغـت   فوق شعر منضـد
وتهاوت كواكب   فوق فستانك الندي
ثم أغفيـت طفلـة   خلف جفن مسهـد
كلما غاب في الدجـى   فرقـد .. اثر فرقـد
واستحالت نيازك   كالرمـاد المبدد
قلت يا طفلتي اهنئي   بين جنبـي وارقـدي
ها هنا بين اضلعي   في الحنايا توسدي
لا تقولي ـ وداعنـا   للهوى لم يجـدد
كلما خلت حبنـا   ينتهي .. كان يبتدي

غيمة تذوب

قصة
وداد سكاكيني

بين الاصيل والمساء كانت الشمس ترف على النيل مترفقة بمن أقبلوا على ضفته الوارفة متلمسين جمال العشية وهدوء النهار ، وكان النسيم يداعب النخيل فتهتز أعاليه كالمراوح وأبدانه السمر المقدودة تلوح من بعيد كجنيات ليلية خرجت من كهوف الغيب ، والماء يدور حول نفسه حينا ، وينطلق حينا منسرحا صامتا ، كأنه صفحات لماعة مواجة لا تلبث تعلو وجه الماء حتى تضيع فيه ، فاذا انسحب النسيم الى الحواشي والضفاف نسج الماء حبيكة كأنها السلاسل من فضة مسردة تشبه دروع الفرسان في القرون الوسطى ٠

وحين هبط المساء بالعتمة على المنتزه المترامي الاطراف لم يكن موشا ، والاماسي ذات وحشة وكابة ، فقد استطاع الانسان الجبار في عصرنا أن يحول الليل الى نهار، فكان هذا المنتزه يتلألأ بالانوار المستديرة والمستطيلة فيرتمي شعاعها على وجه النيل مترقرقا ، لو راه الشعراء القدامى لعزفوا عن وصف الماء عند الاصيل والمساء بأسلاك الذهب ، ولو وصفوا لنا تهاويل من أشكاله تحت الكهرباء٠

لم يكن في المنتزه الجميل الا القليل ممن يحبونه ويفضلونه على غيره ، وقد جاء أحدهم مطرقا يبدو عليه الاضطراب ، أقبل على الضفة تحت المظلة وهو شارد الطرف يكلم نفسه بكلام خافت ، ويشير بيديه ويحرك مرة حاجبيه ومرة يقلب شفتيه مهمهما ، سار في بطء وتثاقل حتى بلغ مكانه الذي يحتله كلما جاءه ، فجلس على كرسيه وهو ينظر الى الضفة الثانية ، ولم يطل صمته وتفكيره ، فقد

قطعهما عليه مجيء امرأة في ريع الصبا وضاحة المحيا ، عليها مسحة من ملاحة تجتذب الناظر اليها ، لولا ما يبدو عليها من الحذر والحشمة ، وكانت تتهادى بعدها امرأة تودع الكهولة ممتلئة الجسم عنيفة الملامح ، تتثاقل بمشيتها ، فلما راها الرجل الذي سبقها نهض يعد لهما المكان ويصلح الغطاء على المنضدة ، وكان حريصا على أن تجلس الصبية في جنبه ·

جلس الثلاثة لا ينبسون ولا يهمسون ، ثم تبادلوا بعد قليل كلاما فاترا متقطعا ، دون أن ينظر أحدهم الى الاخر ، فما وقعت عين على عين ، ولم يأخذوا بحديث متتابع ، بل كانوا يتكلمون همسا اذا اقترب منهم أحد ، أو لمحوا جارا أو صديقا ، وكأنهم جاؤوا ليستأنسوا بالنيل حين فقدوا في أنفسهم المؤانسة وضاقوا بغيرهم من الاهل والاصحاب ·

كانوا مثل شخوص ثلاثة من لحم ودم ، تقاربوا حتى كادوا يتلاصقون ، ولكنهم في هذا التقارب الذي ليس فيه تجاوب كانوا متنائين ، متنائين متقاطعين ، حتى كأنهم لم يتعارفوا · كان كل منهم يعيش في دخيلته وسريرته عيشة لا تشبه عشية الاخر ، اذ كان في نفسه متوحدا متفردا ، وكأنما ألقي في عالم صاخب متشعب ، ما أقدر الانسان على اخفاء طويته ، أضعف من أن يخفيها ذوو السذاجة ومن يبدو على طبيعته دون تكلف ، ولم يكن هؤلاء ممن عرفوا بالسذاجة أو البعد عن التصنع ، بل كانوا ثلاثة أقانيم للمكر الازرق ، اثنان منهما صديقان في الظاهر يعيشان في اهابي عدوين لدودين ، والثالث كان السبب في هذه العداوة ·

أخذت أنوار المدينة تلألأ حين أوشك الليل أن يدخلها فانعكست المصابيح وضاءة على الماء ، وقد تراءت أعمدتها كأنها مرايا مصقولة كبيرة ، أما الشخوص الثلاثة الصامتون الذين جمعتهم الحياة فكانت مصابيح تعجز عن اضاءة الليالي المستديمة في صدورهم الموحشة ·

لولا حدود القانون لبطش الفتى بالكهلة الحانقة الضجرة ، فاستل منها الصبية وضمها اليه ضمة ، كانت فيها سعادتها ونقمة الماضي الغاشم الذي عاش فيه معها ، ولولا العقوق والجحود لمكرت الصبية بالفتى والمرأة معا ، فقد شقيت بهما وشقيا من أجلها ، وكانت حياتهما لولاهما سعيدة صافية ·

أما المرأة الخطيرة التي امتلات نكدا ، فلو تمكنت من ذلك لضمت الفتاة اليها ضمة الظفر والخلاص ، ثم مدت رجلها على عنق الرجل فداستها وضغطتها حتى تفيض روحه ·

كذلك كان يعيش هؤلاء الثلاثة اذا خلوا الى نفوسهم ، لكنهم اذا جمعتهم أطرف الليل والنهار وبعض السهرات والزورات بالاهل والاصحاب ، كانوا يصطنعون البهجة والمرح ، فيتناسون ما شغل قلوبهم ، فاذا يذهبون مذهب غيرهم ويشاركون فيما يشارك به سواهم ، فكانوا محسودين على الوئام الظاهر والائتلاف المنشود ·

ولقد قيض لي أن أتسلل الى تلك الانفس وأتدسس الى ما ظهر منها وما بطن ، دخلتها وبيدي مصباح انطفأ كثيرا وارتجف نوره ، غير أني حين استطعت مداراته كشف لي عن الخبايا في الزوايا والاعماق ·

فالفتى الساهم الواجم الذي كان لا يستطيع أن يثبت نظره في الكهلة المتوقرة ، كان زوجا لفتاتها الوحيدة ، لقد أحبها وتعلق بها ولم يستطع أن يتخلى عنها · لم يعرف قبلها فاشبه ريفيا جاء لاول مرة مدينة تضج باللهو والحضارة ، وكان في ريعان الشباب فأخذ يلهو بهذه المدينة الخالية وبهرت عينيه مفاتنها ·

وكانت هذه الزوجة تبادله الحب وتؤثره ايثارا شغلها في فرحة العرس عن أمها التي فقدتها ونذرت لها عمرها ، تزوجته ولم تدر أن هذا الزواج سيكون لامها بعد شهور جحيما مقيما · لقد ربتها بالدمع والحسرات ، لانها نشأت يتيمة فافرغت عليها فيض حنانها ووهبت لها ما تبقى من صباها وربطت بها ما انقطع من أحلامها التي لم تتحقق ·

وانها لتلعن الساعة التي رضيت فيها بتزويجها ، فقد عدت الزوج غاضبا مستأثرا ، وكره هذا الزوج قرب حماته ، متمنيا أن تكون له الزوجة وحده ·

وكانت هذه الزوجة موزعة بين جاذبين عنيفين متنافرين ، ولم تكن لها ثقافة تبصرها بأمرها أو بصيرة تستطيع معها أن تعرف ما في الاغوار ·

تنازع حبها قلبان ، كان كل منهما يريد الاستئثار والتفرد ، مشكلة ليس لها حل ، وأعنف المشكلات تعقيدا واجتهادا ما كان في السريرة كامنا أو دفينا من هوى النفوس ·

كانت الحياة تمر بالثلاثة في أيامها وأطوارها ، فلا تزيدهم الا هما وغما ، ولم يكن للام أحد تلجأ اليه ، ولو هي وجدت لما استطاعت أن تترك بنتها يوما ، وقد شق الامر على الزوج ، فان قرب الام كان يؤذيه ومكرها يضنيه • حاول مرة أن يشترط على زوجته فراق أمها فغضبت وانتفضت ، وهجرته شهرا على قهر وغضاضة •

ما في هذا الطمع الانساني العسير الذي سود وجه الحياة في نفوس ثلاثة تحت سقف في بيت واحد•

ولم يتدخل القدر فيحول المجرى ، وكان بيده هذا التحويل والتبديل مثل العامل الموكل بدرب القطار ،يحرك المفاتيح الحديدية فيجري القطار الى غاية ثانية • وكان حل المشكلة سهلا عليه لو كتب زوال الام • ومن يدري ، فقد تحزن البنت حزنا يكون على زوجها أشقى وأشق من بقاء أمها • أما فقده هو فكان أشد هولا ، لان الام لن ترضى بزوج اخر ولو كان ملاكا • أما هي ، هذه التي شقيت بزواجها ووقعت بين ويلين ، فان القدر يعلم أنها ان هلكت وانطوت جرت الانتحار والدمار على المتنافرين المتناكرين ، وكنت وما زلت أفكر في حل لهذه المشكلة المستعصية حتى قهقه الدهر الذي لا يستعصي عليه شيء •

ما كانت الام عجوزا حيزبونا ، ولا ضعيفة سخيفة ، بل كانت في كهولتها الاخيرة أشد تعلقا بالحياة وتمسكا بالاماني وما يرد رونق الشباب ويخفي عدد السنين •

كان يشق عليها أن يخلو الطريق أمامها ، تجتازه وحدها على خزي ووحشة ، مقهورة محسورة ، واثنان معها كأنهما طيفان لا يعرفان سرها ، وكذلك من نساء الجيل الماضي لا تعرف ريبة الجنس وتتورع عن كل محرم ، لكنها وقد مات زوجها وهي في ريعان العمر ضنت بنضرة صباها ونشاطها على غير فتاها فالتصقت بها وشغلتها عن الزوج الثاني ، ولقد بقي في أعماق نفسها شبح الزواج مستخفيا في مجاهل روحها لا ينكشف لها لانه لا يستطيع الثبات أمام حنوها الفياض على البنت اليتيمة • وحين شبت هذه البنت عاد الشبح يدور برأسها ، ولما زوجتها اشتد دورانه وأخذ يبحث عن منفذ ، وكانت المنافذ قد سدت عليه فانسل الى صدرها يوسوس فيه ويغريها بكره الشريك الجديد •

وطال تفكير الزوج في هذه المسألة التي لم يجد لها جوابا ولا حلا ، ولم يستطع منها فرارا ولا حولا ، لقد أذعن لهذه الافة التي نغصت حياته ، كان يتلهف شوقا الى الانفراد بزوجته ومعيشته ، حتى كاد يتنق من اللوعة المكبوتة والرقابة الدائمة •

وكان يرجو من زوجته الخلاص فلا يلقى رجاؤه الا الخيبة والاعراض ، كلما عاد الى السؤال والرجاء ، وكان الجواب الذي يشفي نفسه وحسه عند القادر الذي هداه الى درب نفسه المظلمة فحك جلده بظفره ، حتى فقأ الدماميل التي صحبته بضع سنين فاستراح قبل فوات الاوان•

ولم يكن لهذا الزوج ما كان لبعض الناس الذين وقعوا في مثل شأنه ، فهو شاب ما عرف الحرام والانحراف ، وان حماته لفي حمايته غصبا وكرها ، وانها لفي حرمة هو يبني قدسها ويقيم جداره •

وبقي القدر يضحك ويقهقه ، حتى ساق للزواج المقهور عما من البلد البعيد كان قد رباه في الصغر ، ثم جاءه على الكبر هربا من شماتة الذين عرفوا كبريائه حتى أذله التبذير فجمع بقايا ثروة موروثة ، وحل بدار وريثه المنتظر حتى صاروا أربعة ، فهل أراد القضاء أن يزيد في الحرج والتنافر ؟••

واشتد الحيف على الام التي أعياها شأنها فلم تجد حيلة ولا وسيلة للفرج والخلاص ، وقلبها لم يكن يطاوعها على فراق ابنتها التي لم تذعن لرغبتها وما استجابت لاغرائها ، أتتركها مقهورة مغلوبة على أمرها ؟••

لقد اشتد تبرم الام وسأمها ، بل ازدادت تململا بحلول الضيف الغريب ، فهي لا تبرح حجرتها حتى يخرج من البيت ولا يغادره الا في مواعيد يضربها له بعض الذين عرفوا مجده المفقود ، فأحبوا أن يدبروا له عملا يمسك الحياة والكرامة على نفسه ، وقد حلف ابن أخيه أن لايخرج من بيته حتى يتيسر له الرزق وينفرج باب الامل •

وضاقت الزوجة بهذا الضيف الذي طال مقامه وقل تحوله ، فاستثقلت ظله اذ حرم أمها الحرية ، وكان مثل غمامة دائمة حالت بين الشمس والبيت ، ولم تستطع هذه الزوجة أن تفرج كرب أمها حتى عاد الدهر بعد عامين يقهقه في ليلة هبت فيها رياحه فزحزت تلك الغمامة المقيمة وكشفت عن النجوم اللامعة، فتألقت الدار بالبشاشة والايناس على البيت الذي طال وجومه وحل فيه الكمد والضجر •

وكفكف الاهل وبعض الجيران والاصحاب تساءلا طويلا وهمسات ووشوشات فيها الدهش والعجب ، وفيها الغبطة والاشفاق ، فقد دارت كؤوس المرطبات بشراب الورد والليمون ، ونهض المأذون داعيا مباركا ••

ان الزوج الجديد حل المشكلة المستعصية بعد أن كان ضيفا ثقيلا •

وداد سكاكيني

مكانة العقل في الثقافة العربية

بقلم
الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ ورئيس قسم الدراسات الفلسفية
كلية الاداب ـ جامعة القاهرة

وقع بين يدي ـ منذ امد غير بعيد ـ مقال غريب يحمل عنوانا اغرب : « العقل نوع من الادمان ، يسيء كما تسيء الخمور والعقاقير » ! واعجب ما في هذا المقال ان صاحبه طبيب نفساني عربي ، ادرك خطورة التفكير على الانسان العربي ، فراح يدعوه الى الاقلاع عن هذا! النوع الخطير من الادمان ! وهو يعمم حكمه ، فيقول بصريح العبارة : « ان الانسان مدمن ، **لا خمرا وافيونا** **فحسب، ولكنه «مدمن عقل»٠٠ مهما اشقاه العقل وأضناه، كمريض الافيون الذي يلعن اليوم الذي عرف فيه ذلك العقار اللعين ، ولكنه لايستطيع الاقلاع عنه ، لانه اصبح مدمنا »** ! ويعجب المرء كيف يروق لكاتب عربي ـ في هذه الاونة بالذات ـ ان يضع « الادمان على التفكير » (ان صح ان « التفكير » قد يستحيل بالفعل الى ضرب من « الادمان » : على قدم المساواة مع ضروب اخرى من « الادمان » : كادمان على الخمور او تعاطي المخدرات ! هل تكون « الافكار » ـ عندنا ـ قد استحالت الى « احلام واهمة » يتخذ منها الكتاب « مخدرات عقلية » يهدفون من ورائها الى هدهدة عقول الناس ؟ هل يكون « التفكير » ـ في مجتمعنا العربي ـ قد اصبح مجرد سلعة مشبوهة يراد العمل على ترويجها لدى جمهرة الواهمين ، والحالمين ، والسادرين ، من مدمني هذا النوع من « المخدرات العقلية » ؟! واذا لم يكن هذا ولا ذاك ، فما جدوى الحديث عن « التفكير » بوصفه نوعا من « الادمان » ؟

هل هناك ـ حقا ـ « ادمان على العقل » ؟!

اننا نعتقد ـ مخلصين ـ ان في مجرد طرح القضية على هذه الصورة (أمام الانسان العربي) **ضربا من الخيانة الفكرية !** فليس لدينا ـ مع الاسف الشديد ـ مدمنوا عقل او مدمنوا تفكير ، بل لدينا **مدمنوا هوى او مدمنوا تبرير !** اجل ، فقد اصبحنا نبرر احكامنا بمنطق الوجدان ، لا منطق البرهان ، ونسوغ افعالنا بجدل الاوهام ، لا جدل الاحكام ! وانت حين تستقصي ـ اليوم ـ معظم اقوالنا وافعالنا فانك لن تلتقي ـ في الكثير من الاحيان ـ الا بمظاهر التهور والتسرع والارتجال ! واذا كان ثمة افيون عقلي يتعاطاه عندنا معظم الناس ، فما ذلك سوى افيون « الجهد الاقل » ، او افيون « الحل السهل » ! وليس « التفكير » ـ فيما اعرف ـ مهمة هينة يقبل عليها المرء طلبا للراحة او التماسا للسهولة ، بل « **التفكير** » **عملية شاقة يمضي معها المرء في وجه تيار الحماقة والارتجال** ٠ ومن هنا فقد لاحظ بعض مفكري العرب ـ من قديم الزمان ـ ان من بين دواعي الهوى استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه ، وطلب الراحة في اتباع ما يسهل ، اغترارا بان الاسهل محمود والاعسر مذموم ٠ واذا عرفنا ان النفس ـ بطبيعتها ـ عن الجد انفر ، وللهو آثر ، امكننا ان نفهم كيف ان الفكر « اثقل محملا » من « الوجدان » ، واستطعنا ـ بالتالي ـ ان ندرك كيف ان العقل « اصعب مركبا » من « الهوى » ! واذن فلا موضع للحديث عن عملية « ادمان على العقل » : لان الفكر ليس (كما قال احد الباحثين بحق) بالمحبوب السهل الذي

تسرع النفس اليه ، أو المطلوب اليسير الذي جعل المرء بالاقدام عليه ! **والادمان داء ، فهو لا يكون على الفكر ، بل يكون على الهوى مضاد للعقل !**

الاصل الاشتقاقي لكلمة « عقل » في تراثنا العربي :

وهنا قد يقول قائل « انكم تستخدمون كلمة «العقل» دون ان تكونوا قد حددتم لنا سلفا معناها ، في حين انه لابد للباحث – قبل الشروع في استخدام اي لفظ – من ان يكون قد قدم له تعريفا جامعا مانعا » • وردنا على هذا الاعتراض ان كلمة « عقل « – في لغتنا العربية – تحمل معنى واضحا لا لبس فيه ولا غموض : فاننا قد اعتدنا ان نقول ان **العقل هو ما يمتاز به الانسان عن سائر الحيوان** ، كما اعتدنا ان نضع « العقل » في مقابل«الهوى» او « الشهوة » • ولذلك قيل في الامثال العربية القديمة : « ان الله قد ركب الملائكة من عقل بلا شهوة ، وركب البهائم من شهوة بلا عقل ، وركب ابن آدم من كليهما : فمن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم » •والظاهر ان الاصل الاشتقاقي لكلمة « العقل » – في لغتنا العربية – **كان يحمل معنى اخلاقيا** : فقد قيل « ان العقل مأخوذ من العقل • وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة « لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت ، كما يمنع العقل الناقة من الشرود اذا نفرت » • ولعل هذا ما حدا باحد رجالات العرب الى القول بانه : « اذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل » •

ولو اننا عدنا الى الاصل الاشتقاقي للكلمة **اللاتينية** Logos (التي عنها كلمة Reason **بالانجليزية** ، وكلمة Ration **بالفرنسية**) ، لوجدنا انها كانت تعني « **العد** » او « **الحساب** » ، في حين ان الكلمة **اليونانية** Raison او Lege كانت تعني « **الجمع** » او « **الربط** » • وليس من شك في ان عملية « **الحساب** » او « **القياس** » من جهة ،وعملية « **الربط** » او « **اقامة العلاقات** » من جهة اخرى ، تمثلان عمليتين ذهنيتين يقوم بهما الفكر البشري حين يحاول ادراك الاشياء • ومن هنا **فقد لاحظ بعض الباحثين ان كلمة « عقل » – في التراث اليوناني واللاتيني – قد اتخذت منذ البداية طابعا علميا او ذهنيا صرفا ، في حين ان الكلمة العربية قد اتسمت بطابع عملي اخلاقي •**

بيد اننا نجد لدى الكثير من الباحثين العرب تعريفات علمية خالصة للعقل ، كان يقول احدهم – مثلا – « ان العقل هو المدرك للاشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى » ، او كما قال بعض المتكلمين ، حين عرفوا العقل بانه « جملة علوم ضرورية » ، او انه « العلم بالمدركات الضرورية » • وقد ربط الكثير من الباحثين العرب مفهوم « **العقل** » بمفهوم « **المنطق** » (خصوصا وان كلمة « منطق» مأخوذة من « النطق » وهو « العقل ») ، فقالوا ان من شأن العقل ادراك المبادىء الضرورية (او على حد تعبير بعضهم « ما كان مبتدئا في النفوس ») كالعلم بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم ، وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم ، وان من المحال اجتماع الضدين ، وان الواحد اقل من الاثنين ••• الخ • ولكن العلم بالمدركات الضرورية لا يمثل سوى « العقل الغريزي » ، ولهذا فقد قيل انه « نوع من العلم لا يجوز ان ينتفي عن العقل مع سلامة حاله وكمال عقله » • والباحثون العرب قد اضافوا الى « **العقل الغريزي** » ضربا اخر من العقل اطلقوا عليه اسم « **العقل المكتسب** » ، وقالوا عنه انه « نتيجة العقل الغريزي ، وهو نهاية المعرفة ، وصحة السياسة ، واصابة الفكرة » •وواضح من هذه التفرقة بين « عقل غريزي » و « عقل مكتسب » ان الواحد منهما **فطري ، أولي ، سابق على كل تجربة ، في حين ان** الثاني منهما **مكتسب محصل بالدربة ، متوقف على كثرة التجارب** • **ولهذا فقد قيل في مأثور الحكم** : « التجربة مرآة العقل ، والغرة ثمرة الجهل » ، وقيل ايضا : « من طال عمره نقصت قوة بدنه ، وزادت قوة عقله » • وهذه الحكم – وغيرها كثير – انما تدلنا على ان « العقل المكتسب » – في نظر العرب – قد ارتبط بمعاني الحنكة ، والحكمة ، وصحة الروية ، وكثرة التجارب ••• الخ •

قيمة « العقل » بين الخاصة والعامة :

ولو اننا عدنا الى التراث العربي القديم ، لوجدنا للعقل مكانة كبرى بين « القيم » ، فقد كان العرب الاولون يقولون ان « **العقل ، والحياة ، والعافية** ، اثافي النعمة الكبرى ••• وكل ما عداهن دونهن ، وكل ما فارقهن يسقط عنهن • والحياة وعاء ، والعقل متاع ، والعافية استعمال » • وهذا مثلا عيسى بن علي ابو القاسم الجراح (المتوفي سنة ٣٩١ هـ • ، واحد الائمة المتبحرين في علوم الاوائل) يسهب في الحديث عن فضل العقل وشرفه ،ونوره وبهائه ، ونبله وكماله ، وزينته وفعاله ، ويهرب منه ، ويستوحش من قربه وكلامه ••• الخ • » ولهذا فقد كان العرب يضعون « العقل » على قمة « القيم » لانهم كانوا يرون فيه علما على الروية ، والحكمة ، وحسن التدبير ، وجودة الحدس ، وبراعة الاستدلال •• الخ •

ولعل من هذا القبيل – مثلا – ما روى عن علي

بن ابي طالب – كرم الله وجهه – من انه سئل يوما : « صف لنا العاقل » ، فقال عليه السلام : « هو الذي يضع الشيء مواضعه » • ومن ذلك أيضا قوله : « ليست الروية كالمعاينة مع الابصار : فقد تكذب العيون اهلها ، ولا يغش العقل من استنصحه » • ومما روى ايضا عن الامام علي – في معرض النصح – قوله : « استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فان الامور اشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت في ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالاداب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب » • وكل هذه الاقاويل المأثورة عن الامام علي – رضي الله عنه – ان هي الا تمجيد للقوة الناطقة التي اختص بها الله – سبحانه – ابن آدم ، فكانت سر فضله ، وموضع قوته ، ومناط فضيلته •

بيد أن الباحثين في « العقل » من مفكري الاسلام قد فطنوا الى انه لا موضع للحديث عن « العقل » على وجه التعميم ، بل **لايوجد من التمييز بين عقول الخاصة وعقول العامة** ، خصوصا وان « العقل لا يوجد بأسره في شخص انسي ، وانما يوجد منه فقط بالاكثر والاقل ، والاشد والاضعف • والموجود منه في العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا بعد التباسها بها •• الخ » • وهم قد لاحظوا ان الحماقة قد تسمع احيانا من غير المجنون ، كما ان الحكمة قد تصدر احيانا عن بعض المجانين – دون ان يكون العاقل بقدر ما بدر منه مجنونا ، ودون ان يكون المجنون بقدر ما بدر منه عاقلا • ولكن البعض قد ذهب الى ان « العقل » – في هذه الحالات – لا يستخدم الا على سبيل المجاز ، لاننا هنا بازاء ظله وخياله ، لا حقيقته ومثاله • وذهب اخرون الى حد ابعد من ذلك ، فقالوا ان اختلاف العقول يوهن من ثبات المعرفة ، ويقضي على اليقين ، ويكاد يفتح السبل امام القول بتكافوء الادلة ، خصوصا وان العقل قد طبع على الشهادة للباطل كما يشهد للحق ، مما ادى الى اختلاف العقلاء في جميع امور الدين والدنيا • وهكذا حاول البعض **اقحام « النسبية » على « العقل »** ، كما سنرى بعد حين •

انواع العقول وتصنيف العقلاء !

وهذا ابو سليمان السجستاني المنطقي يحدثنا عن انواع العقل – لدى البشر – فنراه يقول : « الناس اصناف في عقولهم : فصنف **عقولهم مغمورة بشهواتهم** ، فهم لا يبصرون بها الا حظوظهم المعجلة ، فلذلك يكدون في طلبها ونيلها ، ويستعينون بكل وسع وطاقة على الظفر بها• وصنف **عقولهم منتبهة ، لكنها مخلوطة** بسبات الجهل• فهم يحرصون على الخير واكتسابه ، ويخطئون كثيرا ، وذلك انهم لم يكملوا في جبلتهم الاولى ، وهذا نعت موجود في العباد الجهلة ، والعلماء الفجرة ، كما ان النعت الاول موجود في طالبي الدنيا بكل حيلة ومحالة • وصنف **عقولهم ذكية ملتهبة ، لكنها عمية** عن الآجلة ، فهي تدأب في نيل الحظوظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسمعة الربانية ، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم ، ولا حق عندهم الحق اليقين ، فهم بالكيد (لعلها : بالكد) والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة • وصنف **عقولهم مضيئة بما فاء عليها من عند الله تعالى** باللطف الخفي ، والاصطفاء السني ، والاجتباء الذكي ، فهم يحلمون بالدنيا ، ويستيقظون بالآخرة ، فتراهم حضورا وهم غيب ، واشياعا وهم متباينون •• » •

وهذه القسمة الرباعية لاصناف العقول تجعل من الناس صنفا مستغرقا بتمامه في شهواته ، فهو لا يعمل عقله الا لنيل لذة أو دفع مضرة ، وصنفا قد اختلط لديه العلم بالجهل ، فهو يسعى في طلب الخير ، ولكنه يخطىء مقصوده ، وصنفا قد عرف العلم ، ولكنه قد عمي عن الآخرة ، فلم يعد علمه سوى مجرد أداة يستخدمها لتحقيق مطالبه في الحياة الدنيا ، ثم صنفا قد انار الله بصيرته، فصار عقله مستيقظا ، واصبحت الحياة الدنيا – في نظره – مجرد حلم ، بينما اضحت الآخرة بالقياس اليه هي « اليقظة » الحقيقية • وواضح من هذا التقسيم التدرجي لاصناف العقول انه تقسيم صاعد ننتقل فيه منأسفل السلم الى أعلاه ، ابتداء من أدنى درجة من درجات الجهل ، حتى أعلى درجة من درجات العلم •

ولكن الظاهر أن بعض تلاميذ السجستاني كانوا **أكثر** معرفة من استاذهم بأنواع الجهلاء ، ومن ثم فانهم قد اعترضوا عليه بأن تصنيفه قد اغفل طبقة « الهمج الرعاع » الذين ان قلت عنهم انه « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وان قلت : « لهم اشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ! وهؤلاء الرعاع – في رأيتلاميذ السجستاني – لا يصدرون في سلوكهم الا عن الفطرة ، ولكن وجودهم في هذه الحياة الدنيا عمارة لها ومصالح لاهلها ! ويعلق **التوحيدي** على ذلك بقوله : « ومن هنا فقد قال بعض الحكماء : لا تسبوا الغوغاء ، فانهم يخرجون الغريق ، ويطفئون الحريق ، ويؤنسون الطريق ، ويشهدون السوق » ! •

وربما كان الطريف في هذا التصنيف الذي نقله ابو حيان التوحيدي (لاصناف العقول وانواع العقلاء)

عن استاذه ابي سليمان السجستاني المنطقي ، انه تصنيف يربط مفهوم « العقل » بمعنى « الوعي » او « اليقظة » فيعد الجاهل رجلا ساهيا أو غافلا عن حقيقة أمر كل من الدنيا والاخرة ، بينما نراه يعد العاقل رجلا متيقظا أو واعيا ، فلم يعد عقله مغمورا بشهوته ، او مخلوطا بسبات الجهل ، او اعمى عن حقيقة الاجلة ، بل اصبح مضيئا بنور الحقيقة الالهية ، مسترشدا بهدى اللطف الخفي . وقصارى القول – في رأي التوحيدي **ان كل من عميت عيناه عن حقيقة امر الدنيا والاخرة « فهو في قطيع النعم، حتى وان كان متقلبا في أصناف النعم » !**

مكانة « العقل » في الاخلاق الفلسفية العربية :

واما فلاسفة الاخلاق العرب – من امثال ابن مسكويه (المتوفي سنة ٤٢١ هـ) ، والماوردي (المتوفي سنة ٤٥٠ هـ) – فانهم لم يهتموا بتقسيم العقول وتصنيف العقلاء ، وانما هم قد حرصوا بصفة خاصة على **بيان دور « العقل »** في « السلوك الخلقي » ، وتحديد مكانة « القوة الناطقة » بين سائر قوى النفس الاخرى في مساعدة الانسان على بلوغ « السعادة » . وهم قد رأوا – أولا وقبل كل شيء – « **ان العقل يدعو الى فعل ما كان مستحسنا ، ويمنع من اتيان ما كان مستقبحا** » ثم انهم قد ذهبوا – بعد ذلك – الى جعل « العقل » دعامة كل « فضيلة » ، واصل كل « خير » ، وبالتالي فانهم قد وثقوا الصلة بين « الحكمة » و « السعادة » . وهذا **ابن مسكويه** – مثلا – يأخذ بتقسيم افلاطون الثلاثي المعروف لقوى النفس فيقول : « انها تنقسم الى ثلاثة : اعني **القوة التي بها يكون الفكر** والتمييز والنظر في حقائق الامور **والقوة التي بها يكون** الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات ، **والقوة التي بها تكون الشهوة** وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية .. » . ثم يشرح لنا ابن مسكويه تباين هذه القوى وتعارضها ، فيقول : « انها قوى ثلاث متباينة ، تقوى احداها وتضعف، بحسب المزاج أو العادة أو التأديب . **فالقوة الناطقة** هي التي تسمى **الملكية** ، وآلتها التي تستعملها من البدن هي « الدماغ » ، **والقوة الغضبية هي** التي تسمى **السبعية** ، وآلتها التي تستعملها من البدن هي « القلب » ، **والقوة الشهوية** هي التي تسمى **البهيمية وآلتها** التي تستعملها من البدن هي « الكبد » ...

ويمضي ابن مسكويه – بعد ذلك – في تعداد «الفضائل» المرتبطة بكل قوة من هذه القوى النفسية الثلاث ، فيقول انه « متى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها ، وكان شوقها الى المعارف الصحيحة (لا المظنونة معارف وهي بالحقيقة جهالات) حدثت عنها فضيلة « الحلم » وتتبعها فضيلة « الشجاعة » . ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة ، غير متابية عليها فيما تسقطه لها ، ولا منهمكة في اتباع هواها ، حدثت عنها فضيلة « العفة » ، وتتبعها فضيلة « السخاء » . ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسبة بعضها الى بعض فضيلة هي اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل أربع وهي الحكمة ، والشجاعة ، والعفة، والعدالة » .

وعلى الرغم من ان ابن مسكويه – مثله في ذلك كمثل افلاطون – لا ينتقص من قيمة كل من القوة الغضبية (وفضيلتها الشجاعة) ، والقوة الشهوانية (وفضيلتها العفة) ، **الا انه يعطي الصدارة للحكمة** (هي فضيلة القوة الناطقة) على غيرها من فضائل النفس الاخرى . و « الحكمة » – في رأيه – هي « ان تعرف الموجودات كلها من حيث هي موجودة ، أو أن شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية ، ويثمر علمها فيك ، بحيث تعرف المعقولات ايها يجب أن يفعل ، وايها يجب ان يغفل .. » . واما الاقسام التي تندرج تحت باب « الحكمة » – عند ابن مسكويه – **فهي الذكاء ، والذكر ، والتعقل ، وسرعة الفهم وقوته ، وصفاء الذهن، وسهولة التعلم** ، وجميعها عوامل تؤدي الى حسن الاستعداد للحكمة .

هل يكون « العقل » – في الفكر العربي – حليف « الخير » ؟!

بيد أن ابن مسكويه قد أخذ بنظرية أرسطو القائلة بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، فذهب الى أن « **الحكمة » وسط بين » السفه** » (وهو استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي) و « **والبله** » (وهو تعطيل هذه القوة واطراحها) ، وقال **أن « الذكاء » وسط بين« الخبث»** و « **البلادة** » ، فان أحدهما افراط والاخر تفريط : اذ « الخبث والدهاء والحيل الرديئة هي كلها الى جانب الزيادة فيه (أي فيما ينبغي أن يكون في الذكاء) ، في حين أن البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف هي كلها الى جانب النقصان من الذكاء » ولما كان معظم فلاسفة الاخلاق من العرب قد أخذوا بمذهب « **الاعتدال** » في كل الامور ، فقد قالت الغالبية العظمى منهم بأن **زيادة العقل عيب ، ونقصانه عجز** . وكانت حجتهم في ذلك أن زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر ، وذلك مذموم وصاحبه ملوم . ولهذا فقد روى عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه قال :

« افراط العقل مضر بالجسد » ، كما روي عن بعض الحكماء قولهم : « كفاك من عقلك ما دلك على سبيل رشدك » •

ولكن هذه النظرية الارسطاليسية في « **الوسط العدل** » قد لقيت معارضة شديدة من جانب بعض مفكري الاسلام الذين رأوا أن « الزيادة من الخير خير » • وهؤلاء قد ذهبوا الى أن « زيادة العقل فضيلة : لان المكتسب غير محدود وانما تكون زيادة الفضائل المحدودة نقصا مذموما ، لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة ، كالشجاع اذا زاد على حد الشجاعة نسب الى التهور ، والسخي اذا زاد عن حد السخاء نسب الى التبذير • وليس كذلك حال العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور ، وحسن اصابة للظنون ، ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون ، وذلك فضيلة لا نقص » •

صحيح ان من بين الاحاديث المنسوبة الى رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ انه قال : « خير الامور أوسطها » ، ولكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قال أيضا : «أفضل الناس أعقل الناس » • وقد قال القاسم بن محمد : كانت العرب تقول : « من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه » • وقيل أيضا في منثور الحكم :«وكل شيء اذا كثر رخص،الا العقل فانه اذا كثر غلا » • وليس الدهاء أو المكر مذموما الا لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ، ولو صرفه الى الخير ، لكان محمودا • ولم يشأ بعضهم أن يسمي « الداهية » عاقلا ، لانهم رأوا أن « الخير » من موجبات العقل ، وان الشرير ـ بالتالي ـ لا يسمى « عاقلا » • ومن هنا فقد وصف بعض الادباء « العاقل » بما فيه من« الفضائل » ، والاحمق بما فيه من « الرذائل » • وذهب اخرون الى حد أبعد من ذلك فارتأوا أن « العقل » حليف «السعادة» ، وان«العاقل» بالضرورة « سعيد » قرير البال ، حتى لقد قال قوم منهم : « ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق ، وأدبرت عن العاقل بالاستحقاق • فان أتتك منها سهمة مع جهل ، أو فاتتك منها بغية مع عقل ، فلا يحملنك ذلك على الرغبة في الجهل ، والزهد في العقل ، فان دولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل من الواجبات » • وواضح من كل هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ أن **الثقافة العربية قد أعلت من شأن « العقل » ، وربطت بينه وبين « الخير » ، وكان « اللامعقول « ـ في نظرها ـ هو « الشر » نفسه ، أو كان ثمة رابطة خفية تجمع بين قيمة « الحق » من جهة ، وقيمة « الخير » من جهة أخرى ، أو كان ممارسة » الفضيلة « رهن بالقدرة على استخدام « العقل »** •

» الموضوعية « و « النزاهة » من معاني « العقل » عند العرب •

وهنا قد يقع في ظن القارىء اننا ننسب الى العرب « **نزعة » برجماتية** تضع « الحق » دائما في خدمة » الخير «، وتجعل من » العقل « مجرد « أداة » عملية ، « تحظر ما لا يجلب نفعا ولا يدفع ضررا » ، ولكن الحقيقة ان فهم الثقافة العربية للعقل كان أوسع وأعمق بكثير من مثل هذا الفهم البرجماتي الضيق القاصر • وآية ذلك أن **الكثير من مفكري العرب قد ربطوا مفهوم « العقل » بمعاني « الموضوعية » و « النزاهة » و « اقصاء الذات »** ، فجعلوا من البحث العقلي عملية نزيهة ، أمينة ، خالصة ، لايتمسك فيها الباحث بآراء السابقين لمجرد تواترها ، ذيوعها ، أو انتشارها ، بل يتجه فيها دائما نحو التماس الحق المحض ، واثقا من أن « الحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه ، ولا يستحيل باطلا بقلة منتحلية » •

وهذا واحد من علماء العرب الافذاذ يعبر عن هذا المعنى في مقدمة كتاب من كتبه فيقول : « الحق مطلوب لذاته ، وكل مطلوب لذاته فليس يعني طالبه غير وجوده ، ووجود الحق صعب ، والطريق اليه وعر • والحقائق منغمسة في الشبهات ، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس • فالناظر في كتب العلماء اذا استرسل مع طبعه ، وجعل غرضه فهم ما ذكروه وغاية ما أوردوه ، حصلت الحقائق عنده وهي المعاني التي قصدوا اليها ، والغايات التي أشاروا اليها • وما عصم الله العلماء من الزلل ، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل • ولو كان ذلك كذلك ، لما اختلف العلماء في شيء من العلوم ، ولا تفرقت أراؤهم فيشيء من حقائق الامور ، والموجود بخلاف ذلك ، فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين ، المسترسل مع طبعه في حسن الظن فيهم ، بل طالب الحق هو المتهملظنه فيهم ، المتوقف فيما يفهمه عنهم ، المتبع الحجة والبرهان ، لا قول القائل الذي هو انسان ، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان • والواجب على الناظر في كتب العلوم ، اذا كان غرضه معرفة الحقائق ، أن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه ، ويجعل فكره في متنه وجميع حواشيه ، ويمحصه من جميع جهاته ونواحيه ، ويتهم أيضا نفسه عند خصامه ، فلا يتحامل عليه ولا يتسامح فيه ، فانه اذا سلك هذه الطريقة ، انكشفت له الحقائق وظهر له ما عساه وقع في كلام من تقدم من التقصير والشبه» •

والمتأمل في هذه العبارة الطويلة التي استهل بها **ابن الهيثم** كتابه « الشكوك على بطليموس » ، **يلاحظ أن** العالم العربي الكبير قد فطن الى **ضرورة التزام الموضوعية**

في البحث العلمي ، وأهمية تحري الصدق والدقة في تمحيص اراء السابقين ، ومن هنا فقد راح ابن الهيثم يؤكد أن غرضه في جميع ما يتصفحه ويستقريه هو استعمال العقل لا اتباع الهوى ، وطلب الحق لا الميل مع الاراء . وقد سبق لنا أن رأينا كيف أن الفكر العربي قد وضع كلمة « الهوى » في مقابل كلمة « العقل » : لان « الهوى » عن الخير صاد ، وللعقل مضاد . ونحن نرى الان ان كلمة « الهوى » تعني أيضا التورط في الظن ، والتهور في الحكم وكأنما هي تعبير عن الاراء المسبقة ، والاحكام المبتسرة . ومن هنا فقد ارتبطت كلمة « العقل » بمعاني العدل ، والتثبت ، والانصاف والنزاهة ، بينما ارتبطت كلمة « الهوى » بمعاني الشبهة ، والحيرة ، والزلل ، والتقصير، والخلل ... الخ . وحينما قال بعض حكماء العرب أن « العقل صديق مقطوع ، والهوى عدو متبوع » ، فانهم لم يكونوا يعنون بذلك سوى الاشارة الى سهولة الميل مع الهوى ، وصعوبة ارتياد طريق العقل ، خصوصا وان « وجود الحق صعب ، والطريق اليه وعر » ، كما قال ابن الهيثم في مستهل النص الذي أوردناه من كتابه المشار اليه .

الصراع بين « الحس » و « العقل » في النفس البشرية

والمتأمل في كتابات بعض « الادباء الفلاسفة » ، يجد تقابلا اخر اقامه هؤلاء بين كل من « الحس » و « العقل » متأثرين في ذلك بنزعة أفلاطونية قوامها اعطاء الصدارة « للعالم المعقول » على « العالم المحسوس » . ومن هنا فقد شبه بعضهم « الحس » بامرأة حسناء متبرجة ، راحت تغري أحد الشبان الطائشين بجمالها « وتراوده عن نفسه لنفسها ، وتبدي له محاسنها ، وتطمعه في تمكينه منها ، وتستعجله في حاجتها ، وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها » ، بينما شبهوا « العقل » بشيخ عجوز قاعد على بعد « ليس به نهضة للزحوف الى ذلك الشاب ، والحيلولة بينه وبين ما نزل به من صاحبته الوقحة الفاضحة ، الا أنه مع ذلك يصيح ويتأوه وينادي بصوته ، يحرك رأسه ، ويبسط يده ، ويعظ ويلطف ، ويعد ويخوف ... ويشفق ويحنو ... » . ويتساءل **التوحيدي** (الذي أورد هذا التشبيه) قائلا : « فأين تأثير هذا الشيخ اليهم المحطم من تأثير تلك الخالبة الغالبة ، المحتالة القتالة ، هذا مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ ، وسيلانه مع هذه !؟ » ثم يستطرد أبو حيان فيقول ان الفرق بين نداء هذا الشيخ ، واغراء تلك الفتاة هو بعينه « الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد ، والحس فيما يكلمك عليه لتشقى ! »

وواضح من هذا التشبيه ان « **العقل** » **هنا يعبر عن** « **نداء القيم** » ، **بينما يمثل** « **الحس** » « **اغراء الشهوة** » **أو** « **نداء الهوى** » . ولعل هذا ما عناه فلاسفة الاخلاق العرب حين دعوا الى انقياد النفس للعقل ، تجنبا لدواعي الهوى ، حتى لا يلبث الهوى أن يصير بالعقل مدحورا ، وبالنفس مقهورا ...

اعتراف الثقافة العربية بحدود العقل ...

على ان ايمان الثقافة العربية بقيمة « **العقل** » . واعطاءها الصدارة **للفكر** على الحس ، لم يحولا بينها وبين الاعتراف بحدود « العقل » ، والاقرار بعجز الفكر البشري عن تجاوز ما هو طور فوق طور ادراكه . ولعل هذا ما حدا بالمفكر العربي الكبير ابن خلدون الى القول بأن « العقل ميزان صحيح » ، أحكامه يقينية لا كذب فيها . غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره ، فان ذلك طمع في محال . ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب ، فطمع أن يزن به الجبال ! وهذا لا يدرك على أن الميزان في احكامه غير صادق ، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته : فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل فيه ... ولعل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا ، خرجت عن أن تكون مدركة ، فيضل العقل في بيداء الاوهام ، ويحار وينقطع ... » صحيح أن كتاب الله قد دعانا الى النظر ، والتأمل ، والتعقل : (فاعتبروا يا أولي الابصار » ، « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض » ، « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » الخ) ولكن الشارع ـ فيما يرى ابن خلدون ـ قد نهانا عن النظر في الاسباب الاولى ، والخوض في طبيعة الجوهر الالهي ، ومن ثم فقد ذهب ابن خلدون الى أنه قد يكون من خطل الرأي أن نثق فيما يزعمه لنا الفكر « من انه مقتدر على الاحاطة بالكائنات وأسبابها ، والوقوف على تفصيل الوجود كله » . وهكذا نرى أن **الثقافة العربية التي أعلت من شأن« العقل» واعترفت بقيمة النزعة « العقلانية » ، لم تتورط في احلال العقل البشري محل « المطلق » ، ولم تتهور في مزالق المثالية المتطرفة التي وحدت بين « الفكر » و « الوجود »** . ومن هنا فقد اعترفت الثقافة العربية **بحدود العقل البشري**، علما منها بأن « **حدود** » العقل البشري هي بعينها« **شروطه** »، وهذا عين الاعتدال ...

د. زكريا ابراهيم

عروة بن الورد

بقلم : ابراهيم صابور

القسم الثاني

الفصل الثالث

أغراضه الشعرية من خلال آثاره :

لم يسعفنا الحظ بأن يزدان مفرق الادب العربي بالكثير من شعر عروة ولقد جمع ما وصلنا منه في ديوان اعتمدته في دراستي كما ذكرت في مقدمة هذا البحث ·

والواقع أن عروة لم يترك مجالا من مجالات الشعر الا خاض فيه ، ولم يدع بابا من أبواب الشعر الجاهلي الا وطرقه فهو ابن ابيئة التي أثرت فبه كما أثرت في أي شاعر من عصره علاوة على المجالات المكتسبة من حياة الصعاليك وهنا لا مجال لذكر العوامل التي أثرت في شاعريته وهو العربي الاصل بانتمائه الى عبس والعرب اشتهروا بالفصاحة وذلاقة اللسان والذكاء فكان منهم شعراء وخطباء وأدباء لا يحصى عددهم ولا شك أن هذا الاصل أمد عروة بنوع من الوراثة الطبيعية ليكون شاعرا يضاف اليها الاستعداد الشخصي والفطرة الطبيعية للقيادة الصعلوكية والريادة والتعبير الشعري فهو يتحدث عن مغامراته وانطلاقه في البلاد قائدا لرعاياه في طلب الرزق ·

لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي
وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعني يوما الى رب هجمة
يدافع عنها بالعقوق وبالبخل
قليل تواليها وطالب وترها
اذا صحت فيها بالفوارس والرجل

كما يتحدث عن تربصه بالاعداء وترصده للضحايا·· فهو يبعث مراقبا من فوق المرتفعات يثبت في مكان كجذع شجرة لا يحرك سوي عينيه ·

اذا ما هبطنا منهلا في مخوفة
بعثنا ربيئا في المرابيء كالجذل
يقلب في الارض الفضاء بطرفه
وهن مناخات ومرجلنا يغلي

وعروة يتوعد ويهدد ··· لا يخاف بل يخيف وينقل تهديده شعرا :

فان الحرب لو دارت رحاها
وفاض العز واتبع القليل!
أخذت وراءنا بذناب عيش
اذا ما الشمس قامت لا تزول

وفي مكان آخر :

فان شئتم عني نهيتم سيفكم
وقال له ذو حلمكم أين تذهب
وان شئتم حاربتموني الى مدى
فيجهدكم شأو الكظاظ المغرب!

كما يتوعد الاغنياء الذين ظنوا أنه لم يجرؤ على غزوهم أحد :

سيفزع بعد اليأس من لا يخافنا
كواسع في أخرى السوام المنفر

نعم ، انه لواثق بأن سيصل الى كل من يبتغيه على ظهر فرسه (قرمل) التي يفخر بها ويذكرها :

كليلة شيباء(٤) التي لست ناسيا
وليلتنا اذا من ما من قرمل

ولا يذكر خيله فقط وانما يتعداها الى وصف السلاح الذي به سيطيح بالاعداء :

ومالي مال غير درع ومغفر
وأبيض من ماء الحديد صقيل
واسمر خطي القناة مثقف
واجرد عريان السراة طويل

ومرة أخرى يقول :

بكل رقاق الشفرتين مهند
ولدن من الخطى قد طراسمرا

وعروة لن يغزو لوحده طبعا ولكن مع رفاق صعاليك مثله ... لا ليسوا مثله فهو لا يتحدث عنهم كرفاق أنداء بل كأصحاب رعايا زعيمهم هو ... وهم بقيادته يعملون :

الا أن أصحاب الكيف وجدتهم
كما الناس لما أخصبوا وتمولوا
واني لمدفوع الي ولاؤهم
بما وان اذ نمشي واذ نتململ

هو كالام يتعهدهم وهم ينسونه ويتنكرون له وباسلوب قصصي تصويري مستغلا مظاهر الحياة النفسية في تشبيهاتهم ـ يرسم لنا موقفه من صعاليكه .

فاني واياكم كذى الام أرهنت
له ماء عينيها تفدى وتحمل
فلما ترجت نفعه وشبابه
أتت دونها أخرى جديد تكحل
فباتت لحد المرفقين كليهما
توحوح مما نابها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة
هو الثكل الا أنها قد تجمل

وعروة الكريم المعطاء أغريب ان هاجم البخل والبخلاء ... طبعا لا فرأيهما لا يتفقان أبدا .. :

وقد علمت سليمى أن رأيي
ورأى البخل مختلف شتيت
وانني لا يريني البخل رأى
سواء ان عطشت أو رويت
واني حين تشتجر العوالي
حوالي اللب ذو راي زميت
واكفى ما علمت بفضل علم
واسأل ذا البيان اذا عميت

أما بالنسبة للهجاء فلم يتخذه عروة كغيره من شعراء عصره مجالا وهدفا لان سيفه يجرح أكثر من شعره ... لكنه لا يستغني عنه نهائيا لذا نراه يهجو اخواله كما مر معنا وقبيلة أمه وكما يقول لسلمة بن الخرشب الانماري :

أخذت معاقلها اللقاح لمجلس
حول ابن أكثم من بني انمار
ولقد أتيتكم بليل دامس
ولقد أتيت سراتكم بنهار
فوجدتكم لقحا حبسن بخله،
وحبسن اذ صرين غير غزار
منعوا البكارة والافال كليهما
ولهم أضن بام كل حوار

وأما الوصف فيتغلغل بكل أشعار عروة .. يصف كل ما تقع عينه عليه أو كل ما يقوم به حتى حياته والمقارنة بين ما هي عليه حياة الصعلوك الكسول وكيف يجب أن تكون حياة الصعلوك الثائر يصفه بقوله :

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله
مصافي المشاش آلفا كل مجذر
يعد الغنى من دهره كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا
يحث الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد الا لنفسه
اذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساء الحي ما يستعينه
فيمسي طليقا كالبعير المحسر

ومن الطبيعي أن يكون لهذه الحياة خلاصة وجدوى، وما الجدوى الا في العبر التي نكتسبها ان كان من الشاعر القدوة تؤمن الشعر الامثولة .

اذا اذاك مالك فامتهنه
لجاديه وان قرع المراح
وان اختي عليك فلم تجده
فنبت الارض والماء القراح
فرغم العيش آلف فناء قوم
وان اسوك والموت الرواح

أداؤه الفني

ترى كيف كان عروة يأتي بالصورة الادبية وكيف كان ينفس عن أفكاره وما هو اسلوبه • أول ما نلاحظه أن شعر عروة خال من الخيال المجنح فهو واقعي يصف ما يمر به وينقل ما يدور معه وحوله بتعابير بسيطة مستمدة من البيئة الجاهلية نفسها ومن أصالة الصحراء العربية••• ومن الناحية اللغوية فلا يوجد اغراب في شعره وذلك لكونه زعيما شعبيا وقائدا يتفاهم مع رعيته وأبنائه ولانه لم يترك مجتمعه نهائيا الى وحشة الصحراء وانما بقي في جوه القبلي ولذا نرى أن لفظه كان سهلا ومعانيه ظلت واضحة ، وشعره لا تكلف ولا تصنع فيه •

وأما من حيث الخصائص العروضية فاننا نلاحظ بأن الاوزان التي صاغ بها شعره هي الطويل ، البسيط ، الوافر ، الكامل ، الرجز ، الرمل ، السريع ، الخفيف ، المتقارب •

خاتمة :

بعد ما مر معنا من شرح لشعر عروة ودراسة لحياته وأخباره اعتقد بأن هذا الشاعر القائد والانسان الانسان انما كان صادقا مع نفسه ، طيبا مع غيره ، يعيش حياته كما يهوى ، لا كما يرسمها له غيره ، لذا فقد كان رمزا لتلك الفئة من الناس ولتلك المرحلة من جاهلية العرب•

مصادر البحث

اسم المؤلف	اسم الكتاب	مكان الطبع	سنة الطبع
١ ـ ابن السكيت	شرح ديوان عروة بن الوردالعبسي (تصحيح الشيخ ابن أبي شنب)	الجزائر (مطبعة جول كربونل)	١٩٥٣ م
٢ ابن السكيت	ديوان عروة بن الورد (تحقيق وشرح كرم البستاني)	مكتبة صادر بيروت	١٩٢٦ م
٣ ابن السكيت	ديوان عروة بن الورد (تحقيق عبد المعين الملوحي)	دمشق ـ وزارة الثقافة	١٩٦٦ م
٤ ـ ابن قتيبة	الشعر والشعراء	القاهرة	١٩٤٨ م
٥ ـ أبوالفرج الاصفهاني	الاغاني	دار الكتب المصرية	١٩٢٩ م
٦ الاصمعي	الاصمعيات	دار المعارف بمصر	١٩٥٥ م
٧ ـ التبريزي	شرح ديوان الحماسة	القاهرة	١٩٣٨ م
٨ ـ جرجي زيدان	تاريخ التمدن الاسلامي		
٩ ـ كال بروكلمان	تاريخ الادب العربي	دار المعارف بمصر	١٩٦٨ م
١٠ ـ الاب ويس شيخو	شعراء النصرنية	الاباء اليسوعيين بيروت	١٩٢٦ م
١١ ـ اليعقوبي	تاريخ اليعقوبي	مطبعة الغرى النجف	١٣٥٨ هـ
١٢ ـ يوسف خليف	الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	دار المعارف القاهرة	١٩٦٦ م

مع الآداب العالمية

أرجو لك طول البقاء

بقلم : شو إيل هوا

في صباح الخامس عشر من شهر آب ، يوم الذكرى السادسة عشرة للتحرير ، زارني شابان في بيتي وأعلنا : أن رئيس المجلس سوف يزورني قبل ظهر هذا اليوم بكل تأكيد ، أيتها الجدة فكانت مفاجأة كبيرة ، ورحت أفكر : « سوف يأتي رئيس المجلس الى منزلي بالرغم من كثرة مشاغله في أعمال الدولة » . وغمرني شعور بالعرفان لما يبديه من تلطف فلم أدر ماذا أفعل،وأخيرا أسرعت وباشرت بالترتيب وهب أحفادي لمساعدتي . ولكن سرعان ما كان رئيس المجلس قد وصل ، فأمسكني من يدي وقال لي : « كيف حالك ؟ يا أماه » واضطربت كثيرا حتى أني كدت أن أكون غير قادرة على تحيته بالشكل الصحيح .

لقد دخل ومعه زوجته وولداه ، وحياني الجميع بأدب ثم رجا أفراد عائلتي بأن يجلسوا ، وراح يستقصي أخبارنا وظروف معاشنا واستخبر عن صحة أسرتي وسألني : « كيف حالك منذ أن عدت الى كوريا ؟ أين يعمل أولادك ؟ » ، وقد كان في مبادرته باحسانه واكرامه باشا لطيفا أنيسا كما لو كان يخاطب أفراد أسرته هو نفسه . وفي بداية الامر شعرنا جميعا أن تصرفاتنا كانت خرقاء وان وجوده كان يضايقنا ويحرجنا ، الا أنه ما لبث أن جعلنا نحس بالراحة ، فتحدثنا عن قضايانا المنزلية صغيرها وكبيرها دون أي تردد كما لو أننا كنا نتحدث الى قريب أو نسيب تربطنا به عاطفة ود ومحبة وقد مضى زمن طويل دون أن نراه . فقلت له : « اننا بفضلك ياسيدي الرئيس نعيش سعداء في هذا المنزل الجميل المطل على نهر (داى دونغ) وأولادي يعملون وأحفادي يذهبون الى المدرسة ، واني لا أتصور أن يكون هناك شيء مرض أكثر من هذا كله » ، وبينما كنت أعرب له بهذه الطريقة عن شكري وامتناني ، ارتسمت على وجهه بسمة الرضى ثم قال : « اني مسرور جدا لسماعي هذا » ، ثم توجه نحو النافذة وراح يتأمل نهر (داى دونغ) وقال : ما أجمل هذا المنظر ، والتفت نحوي وسألني:هل تعتقدين أن كوخك لايزال موجودا ؟ ذلك الكوخ الذي اعتنيت بي فيه عندما كنت مريضا ؟ فأجبته : « ربما كان الكوخ قد أحرق منذ ذلك الحين ، لان العدو كان قد شن حملة انتقامية بعد

اقامته فيه مباشرة ، وراح يسبح في تفكير عميق فترة من الزمن ثم عاد الى الكلام وقال : « لقد كانت المناظر الطبيعية جميلة حقا ، الجبل خلف الكوخ والساقية تسيل أمامه ۰۰۰ وكانت مياه النبع العذب بديعة : أليس كذلك ؟ »ثم انتقل الى حيث دعامة البناء وجهاز التدفئة ، وجلس ، ثم تابع حديثه بقوله : وبذلك الوقت أجلستني هكذا في المكان الاكثر حرارة في المنزل ذات الارض المدفأة وقدمت لي البرغل والماء بالعسل ، لقد كان الماء بالعسل هو الذي أنقذ حياتي »۰ وتأثر اذ تذكر أن حساء الفاصولياء كان لذيذا وان لكسبة الفاصولياء طعما لذيذا مميزا خاصا وحزنت اذ تذكرت بأنني كنت وقتئذ فقيرة الى حد لم أتمكن معه أن أعتني به بالشكل المناسب واني لم أتمكن من أن أقدم له الغذاء الملائم ، وكان هو على الرغم من ذلك كله يتحدث عن تلك الايام بعبارات مملوءة بالعرفان بالفضل والجميل ، فشعرت بخجل عميق ووجدتني محرجة أكاد لا أجد الكلمات للرد عليه الا بصعوبة بالغة ۰

لقد كان ذلك بعام ۱۹۳۲ ، وكانت اسرتي قد هاجرت قريتنا في منطقة (سام دجانغ) في مقاطعة(موزان) في ولاية (هام غي وينغ) الشمالية بحثا عن لقمة العيش۰ وبعد أن فتشنا في الـ (شيين تاو) الشمالية وفي الـ (نين غان) فقد توغلنا في الجبال على بعد اثني عشر كيلو مترا من قرية (تاوى تزو) في سفح جبل (لاوييه لينغ) ، وهناك بنينا لنا كوخا وأقمنا فيه لقد كان مكانا ضائعا بدون تسمية ولا رقم ، كان في قلب غابات كثيفة تكاد الشمس لا تخترقها الى بصعوبة حتى في وضح النهار ۰ وحول كوخنا ذي الغرفة الوحيدة والسقف المنخفض غرسنا أشجار صنوبر صغيرة كانت تتعذر مشاهدتها حتى على مسافة قصيرة ، وعندما كنا نذهب لنعمل في الحقول على بعد ثمانية كيلومترات من هناك ، كنا نحرص ألا نترك أثرا ۰۰ كنا نعيش هكذا مختبئين تماما عن العالم الخارجي۰ كنا نعيش في عزلة تامة منزوين في الجبال لننجو بأنفسنا من طغيان الامبرياليين اليابانيين والملاكين والرأسماليين وبغيهم ، ولكننا كنا بشوق عظيم للحياة الاجتماعية ۰ لقد كانت نفوسنا على الاقل مرتاحة لاننا كنا نستطيع الحصول على غذائنا بأنفسنا مستعملين في الزراعة اسلوب الارض المحروقة دون أن نستغل او أن يستأجرنا طغاة أشقياء فساق ۰ وكان على مجرى الماء معبر صغير وفي الطرف الاخر كوخ اخر مختبىء هو أيضا يعيش فيه شقيق زوجي مع أسرته ۰ وكان هذان المنزلان وحيدين في تلك الغابات القاتمة حيث يخيم ما يشبه الظلام وكأنه وكر بائس ۰ وقد مرت السنوات دون أن يصل الى ذلك المكان كائن حي واحد ، ففي السنتين الاولين لم يتصور أحد أن انسانا كان يعيش في ذلك المكان المنعزل ۰ ثم حضر بعد ذلك ضيوف محترمون جدا ۰

ان صدقتني ذاكرتي فقد كان ذلك حوالي أواخر عام ۱۹۳٤ ، في السنة الثانية لوجودنا هنا في الجبل ، جاءنا شخص وقرع الباب في منتصف الليل ، ولما كنت قد طحنت الذرة البيضاء في الهاون طوال النهار وطحنت الفاصولياء للكسبة مساء فقد كنت غارقة في نوم عميق عندما سمعت الباب يقرع فنهضت مذعورة ۰ وبينما كانت أفراد أسرتي ينتطرون ممسكين أنفاسهم فقد توجه شقيق زوجي ليفتح الباب وكان ينام قريبا منه ، قال أحد الزوار « اننا أنصار من أعداء اليابانيين فلا تخشوا شيئا أرجوكم » ، ثم قال بأن الموضوع يتعلق بشيء بالغ السرعة ، ثم تابعوا الحديث في الخارج دون أن يدخلوا الى الدار ۰ وأوضحوا بأن كوريا كهلا من قرية (تشي بيان لين تسو) على بعد عشرين كيلو مترا من هنا قد ذكر لهم بأن منزلا يملكه كوريون كان يختبىء في احدى وديان سلسلة (لاوييه لينغ) وقد بحثوا طوال اليوم عن منزلنا عبثا في كل مكان وعندما حل الظلام تسلقوا الجبل ونظروا الى الاسفل املين مشاهدة نور ، فبدا لهم من كوخنا بصيص ضوء خافت فحضروا الينا ۰ قالوا : « ان رفيقنا القائد مريض ، انه مستلق يرتاح على مقربة من هنا في سفح الجبل ، فهل لنا أن نحضره ليرتاح هنا قليلا في منزلكم ؟ » ، وأوضحوا لنا السبب في تحملهم تلك الصعوبات جميعا ليهتدوا الى منزلنا۰

لم نشعر بالراحة الا عندما علمنا بأنهم من الانصار، ونظرنا جميعا الى عتبة الباب لقد كان بالباب جنديان شابان بلباس عسكري ممزق وقد سقطت فوقهما قطع من نسيج أبيض ۰ ودهش والد زوجي دهشة بالغة اذ علم بأن قائد وحدة الانصار المريض كان الجينيرال (كيم ايل سونغ) نفسه ۰ فصاح بهم : ماذا ؟ ولماذا لم تحضروه مباشرة ؟ حقا انه لموقف طائش وقفتموه » ، وبعد أن وجه هذا اللوم الى الانصار أمر زوجي وحفيده (يونغ سين) بأن يذهبا لمساعدة الانصار في احضار الجينيرال (كيم ايل سونغ) ودفعهما نحو الخارج ليستعجلهما۰ ثم التفت نحوي وأمرني بأن أسرع وأشعل النار لتدفئة المكان وأن أغلي الماء في وعاء وان أعد البرغل في الاخر ۰

وبعد أن غادر زوجي مع الانصار أجريت بعض الترتيب في الغرفة وأشعلت النار ووضعت الذرة البيضاء في قدر لاعد الجريش وأنا أسعى لاخفاء اضطرابي • لقد كان والد زوجي قد سمع عن الجينيرال (كيم ايل سونغ) فقال موضحا : ان الجينيرال (كيم ايل سونغ) قائد عظيم يقود وحدات الجيش الكوري في منشوريا الشرقية وينزل باليابانيين خسائر ساحقة » • وانتابني اضطراب عميق وقلت في نفسي : لو لم يحدث شيء من هذا لاستحال على أمثالنا أن يقابلوا شخصية عظيمة مثله ، وبينما كانت تلك الافكار تتزاحم في رأسي كنت أشاغل نفسي في المطبخ •

وعاد الانصار بعد برهة وهم يحملون شابا • كان الظلام الحالك مخيما والثلج ينهمر والشيء الاكثر خطورة من ذلك كله أنه لم يكن هناك طريق وكانت اجام كثيفة وأغصان الصنوبر تغطي المكان ، فكان المرور مع النقالة مستحيلا لذلك فقد اضطر الانصار لان يحملوا قائدهم على ظهورهم تباعا كل بدوره مسافة ثمانية كيلومترات وهم يشقون لانفسهم طريقا في الثلوج الكثيفة • فأجلسناه بسرعة بالقرب من النار •

لقد كان منظر وجهه مؤثرا للوهلة الاولى وعلامات مرض خطيرة كانت ظاهرة عليه ، لقد كان فاقد الوعي يئن • وانقبض قلبي وانتابني اضطراب عميق اذ علمت بأنه هو ذلك الذي يستلقي الان بدون وعي ، الرجل الذي خاض قضية ضخمة عظيمة ممسكا بقبضته مصير عشرات الالاف من الاعداء ، الرجل الذي اجتاز الجبال بسرعة البرق •

قال والد زوجي ، وكان يحسن التمريض يجب أن يتعرق الجينيرال لانه يعاني بكل تأكيد من برد ناجم عن حياة خشنة عاشها في برد شديد القسوة • وألح علي بأن أسرع وأجلب ماء ساخنا والعسل الذي كنا قد جنيناه من الجبل •

وبعد أن تناول كوبا من الماء الساخن مع العسل خلعنا عنه رداءه وحذاءه ومددناه مقابل النار وغطيناه بلحاف ودثرناه جيدا • واني الان لاحمر خجلا عندما أفكر باللحاف المهترىء الذي استعملناه لتغطيته ، ولكننا كنا وقتئذ قلقين مضطربين فلم نفكر في ذلك لحظة واحدة •

وبدأ والد زوجي بتدليك أعضائه وهو يقول : التدليك والتعرق كفيلان بشفائه من برديته • وجلست على طرف السرير وأخذت أنا أيضا أدلك قدميه ، وكنت أتمنى له من قلبي شفاء عاجلا • وكانت الغرفة مملوءة بالانصار ولكنها كانت أصغر من أن تحتويهم جميعا لذلك فقد كان لا بد من بقاء بعضهم خارجا ساهرين وسط العاصفة الثلجية الهوجاء المرعبة التي كانت تهب في تلك الليلة • لقد كان عددهم كبيرا وكان بعضهم يمسحون دموعا وكان الجو مثقلا بالقلق والغم لان ذلك الذي كان يستلقي هنا فاقد الوعي كان الجينيرال (كيم ايل سونغ) العزيز على قلوب الكوريين جميعا • فقال والد زوجي للانصار والعرق يتصبب من جبينه وهو يدلك أعضاء المريض : « لا فائدة من التجمع ها هنا وازعاج المريض ، لا تقلقوا ، اذهبوا الى الكوخ الاخر واستريحوا • فذهبوا آسفين وعبروا الساقية نحو كوخ شقيق زوجي ، وبقي منهم اثنان فقط مع أسرتنا كحرس خاص •

وعندما عاد الهدوء الى الغرفة أحسست بأن قلبي كان مثقلا وأصبحت أكثر عصبية وقلقا • وبعد انقضاء ما يقارب الساعة جس والد زوجي جبينه وقال بصوت ملؤه البشر : « لقد بدأ يتعرق » ، ثم طلب مني أن أذهب وأحضر جريشا وعسلا ، فأسرعت الى المطبخ ونخلت جريش ذرة بيضاء وجلبت منه كوبا ممزوجا بالعسل • وأنهضنا المريض قليلا لنعطيه بعض الجريش وبعد ذلك عدنا الى التدليك من جديد برهة من الزمن فبدت على محياه حمرة خفيفة ثم نام • فقال والد زوجي وهو يتنفس الصعداء : حسنا لقد تمكنا من حمل المرض على التراجع ، وقال لي بأن أتوقف عن التدليك وأن أتركه لينام •

كنا جالسين نراقبه أثناء نومه بينما كان الحارسان يحدثاننا عنه همسا • ودون أن أدرك السبب تكونت في نفسي قناعة عميقة بنتيجة الاستماع اليهما ، بأنه سوف يأتي قريبا ذلك اليوم الذي يتمتع فيه الشعب الكوري بحريته ويعيش في الرخاء والنعيم عندما يستعيد هذا الرجل المعتبر صحته وقواه • وسهرت هكذا الى جواره مترقبة بتلهف أبسط حركة وأقل تعابير عضلات وجهه وأنا أمسح العرق عن جبينه •

وما أن طلع النهار حتى فتح عينيه وأطلق تنهدا

عميقا ، فسررنا كثيرا حتى اننا اقتربنا جميعا وسألناه بصوت واحد : « كيف تشعر بنفسك الان ؟ » فأجاب بصوت رنان : « اني أحس بنفسي بأني خفيف جدا بل واني أشعر بأني قادر على أن أطير ، ان الفضل في شفائي يرجع الى

طيب هذه الاسرة » ، وشكر أسرتنا أكثر وأكثر وأخجلنا كثيرا حتى أننا كنا لا ندري بماذا نجيب • ثم طلب منا أن ننهضه ، وكذلك فقد رتبت سريره بحيث يتمكن من الاستناد على الوسائد واللحاف ، ونظر الينا جميعا ورجانا بالحاح بأن نذهب لننام • « ••• لا شك في أنكم لم تتمكنوا من النوم طوال الليل ، اذهبوا وناموا أرجوكم آ•

وأسرع أحد الانصار الى الكوخ الاخر يبشر بالخبر السار وما لبث الانصار أن دخلوا راكضين • اني لا أزال أرى أولئك الانصار وقد أمضوا ليلة طويلة بلا نوم قلقين على مصير قائدهم ، فرحين بمشاهدته الان وهو يجلس • « الرفيق القائد » هذا كل ما تمكنوا من قوله ثم أحنوا رؤوسهم وهم يبكون • فقال وقد ارتسمت بسمة على محياه : « حسنا ، لقد تحسنت صحتي فلا تقلقوا ورتل على كتف شاب من الانصار كان قريبا منه • لقد كانت فرحتهم عظيمة ، فماذا كان بوسعهم أن يفعلوا غير هذا وهم يرون الجينرال الذي يعتبرونه مشعل الثورة الكورية وقد شفي من مرض خطير كهذا ، لقد كان بمقدورهم أن يتغلبوا على الصعاب جميعا لمجرد الاعتماد عليه ، لقد كان عددهم قليلا الا أنهم كانوا يستطيعون خرق حصار العدو مجابهين برد منشوريا الشمالية القارس • كانوا يبتسمون الا أنهم كانوا غير قادرين على ايجاد الكلمات للتعبير عن تأثرهم العميق •

ونظر بحنان الى الانصار الواقفين حوله وقال : « كفاكم قلقا من أجلي ، قولو شيئا ، لقد تسببت لكم كثيرا من القلق أليس كذلك » وأعادت اليهم ابتسامته العريضة عزمهم فأشرقت وجوههم ، وقال شاب من الانصار : أيها الرفيق القائد ، كنا لا ندري ماذا نفعل عندما أحاط بنا العدو من كل جانب وكنت طريحا فاقد الوعي •

وروى لنا الانصار كيف أنهم نجوا من الموت بأعجوبة بفضل رجل كوري كهل في لحظة حرجة جدا عندما وجدوا أنفسهم في موقف صعب وقائدهم فاقد الوعي •

أثناء عودتهم من حملة الى منشوريا الشمالية (وكانت أولى الحملات الى منشوريا الشمالية) دفع القائد معظم وحدته أولا ثم ذهب بعد برهة ومعه بعض الانصار • وكان عليهم أن يشقوا لانفسهم طريقا عبر ثلوج كثيفة كانت تبلغ ارتفاع صدر الانسان ، واندفع في ملاحقتهم بأعداد ساحقة ـ أكثر من عشرة جنود مقابل واحد من الانصار ـ وكان عليهم أن يشتبكوا أكثر من عشر مرات كل يوم في معارك طويلة ضارية ضد « قوى العدو » الهائلة • لقد أنهكت قواه وهم يسيرون في الثلوج الكثيفة • وزيادة في تردي الامور وتفاقمها فقد نفذت المؤن •

كنت أستطيع أن أتصور بسهولة وبساطة كم كان صعبا عليهم أن يتقدموا في الثلوج العميقة عبر الغابات الكثيفة دون غذاء وهم يقاتلون العدو • وقد قالوا بأنه كان صعبا عليهم أن يتقدموا خطوة واحدة نحو الامام • وحتى في هذه الظروف فقد تابعوا • وقد كان الانصار الشغل الوحيد الذي يشغل الرفيق (كيم ايل سونغ (، وحتى عندما كانوا يحصلون مصادفة على بعض الغذاء فقد كان لا يتناول منه شيئا ولا يأكل ، وانما كان يقدمه الى رجاله • وكان في كل يوم يساعد الانصار المرهقين على التقدم في الصفوف ، واضافة الى ذلك فقد أمضى أياما وليالي في برد منشوريا الشمالية الرهيب وسقط أخيرا تحت وطأة الحمى بنتيجة ما أصابه من برد •

ورووا له عندئذ بالتفصيل كيف أنهم كانوا سبعة عشر من الانصار الشبان (ممن لم تتجاوز أعمارهم السابعة عشرة الى الثامنة عشرة سنة ، عدا رئيس الفرقة) وشقوا لانفسهم طريقا نحو سلسلة جبال (لاوييه لينغ) خلال أكثر من عشرة أيام حاملين القائد المريض على نقالة وهم يصدون قوات العدو الانتقامية التي كانت تلاحقهم • وقال أحدهم : وعندما وصلنا الى مهجع يأوي اليه الحطابون في (شيبي ين لين تسو) في (هوانغ شولينغ) في سفح سلسلة جبال (لاوييه لينغ) هاجمنا العدو ليس من الخلف فحسب وانما من الامام وعلى الجوانب أيضا •

كانوامحاصرين منجميع الجهات،غيرقادرينعلىالعثور على منفذ فقد دخلوا الى مهجع الحطابين وتداولوا في طريقة للافلات من العدو ، ولكن مداولتهم لم توصلهم الى شيء

ولم يهتدوا الى حل • لو لم يكن القائد مريضا لاستطاعوا خرق حصار العدو بهجوم يائس ، الا أن ذلك كان مستحيلا لانه كان عليهم أن يؤمنوا حماية القائد المريض فاقد الوعي • لقد رد القائد (كيم ايل سونغ) العدو على أعقابه دائما بخطة مذهلة ، غير أنه كان وقتئذ غير قادر على اعطاء التعليمات والاوامر ، وكان الانصار حقا لا يدرون ماذا يفعلون •

ورووا أن أحد الانصار الشباب ويدعى (تايك مان) قد انفجر وأجهش بالبكاء المرير عندما نظر بحسرة الى وجه القائد وهو يتلظى تحت وطأة الحمى • حتى أن قائد الفرقة نفسه لم يقدر على منعه من البكاء • وكان في الغرفة رجل مسن يرتدي الزي الصيني جالسا الى جوارهم ويصغي الى حديثهم • فأوضح له أحد الانصار قائلا اننا تابعون لوحدة من أنصار منشوريا الشرقية وعلينا انقاذ قائدنا ولكن التعب قد أنهكنا ، ولما سمع الرجل ذلك سأل : ومن هو القائد ؟ وعندما علم أن المعني هو حقا الجينيرال (كيم ايل سونغ) ؟ وتحدث الرجل عندئذ باللغة الكورية بطلاقة وقال : وأنا أيضا كوري ، ومهما أكن مسنا فلن أتردد في أن أضحي في سبيله حتى لو كلفني ذلك حياتي •

وأوضح الانصار أن الرجل المسن قد أسر لهم بأنه عاش هناك سرا ليتجنب اليابانيين وهو يخفي جنسيته الكورية فلا يتكلم الا الصينية ويعيش وفقا للعادات الصينية ، وقد قتل ابنه (كيم هاي سام) الذي كان ينتمي الى جيش الدفاع الذاتي في (نين غان) واستشهد وهو يقاتل ضد اليابانيين ثم قال الرجل المسن (كيم) : سوف أعمل كل ما في وسعي ، ولا أستطيع أن أضمن النتائج • اني أقترح استخدام صاحب المنشرة ، وهو سوف يحضر من (نين غان) بالعربة الزحافة وان بامكانكم الاستفادة منه للنجاة من الخطر •

وتولى قائد الفرقة الكلام لاول مرة وقال : ذكر لنا الرجل المسن أن صاحب المنشرة واحد من أقوى الشخصيات نفوذا في (نين غان) وبذلك فهو اذا ما استغل نفوذه فان القوات اليابانية الانتقامية لن تستطيع أن تعمل شيئا ضدكم • وعندما تصل العربة الزحافة عليكم أن توصدوا وثاق المالك جيدا وتحملوه على التعهد بأن يعمل وفقا لما تطلبون منه أن يفعل ، ولا تنسوا أن عليكم أن توثقوني أنا أيضا أمام عينيه لئلا أتعرض للاشكالات في النتيجة مستقبلا • ولم نتمكن من قبول اقتراح الرجل المسن فورا وترددنا في اتخاذ قرار نهائي لاننا كنا نجهل ما كان ينجم عن ذلك من نتائج وفي هذا اللعب باخر أوراق في يدنا وكانت أرواحنا مهددة بالهلاك •

وقال قائد الفرقة أنه بعد تفكير عميق فقد هز القائد برفق ليوقظه ويسأله ما العمل ، وتمكن الجينيرال (كيم ايل سونغ) بعد جهد أن يستعيد وعيه بالكاد ، ولكنه عندما علم ما الخطب قال : « اني أترك لكم أن تتصرفوا » ، ثم عاد الى غيبوبته من جديد •

كان الانصار لا يزالون مترددين وغير قادرين على اتخاذ قرار ، ولكن الزمن كان ينطوي بسرعة في غير مصلحتهم وما لبث الفجر أن بزغ ، ولقد كان جليا واضحا انه ما ان ينجلي النهار حتى يبدأ العدو بمهاجمة ذلك المهجع من جميع الجهات • وبينما كان الانصار لا يزالون يترددون حول ما يتوجب عليهم عمله ، وصلت عربات زحافة خمس ودخلت الباحة الواحدة تلو الاخرى كما سبق وتكهن الرجل المسن (كيم) •

ولم يكن هنالك مجال لاضاعة الوقت ، فانطلقوا الى الخارج وأوثقوا صاحب المنشرة وأوثقوا الرجل المسن(ديم) كما طلب • ثم حملوا المالك على أن يتعهد بان ينفذ كل ما يريدون • ولما وجد صاحب المنشرة أن الموضوع كان بالنسبة اليه موضوع حياة أو موت فقد وعد مرغما خلافا لقناعته بأن يفعل كل ما يقولونه • وتدخل شاب من الانصار مشيرا الى صاحب المنشرة فأجابه صاحب المنشرة وهو يرتعد كورقة الشجر : لقد اتفقنا ياسيدي ، سوف أقود الزحافة الاولى وسوف أشق الطريق وأنا أصيح فارجو أن تلحقوا بي بالعربات الاخرى • واستقر رأي قائد الفرقة ومعه أحد الانصار في العربة الاولى وكل منهما يرتدي اللباس الصيني فوق ملابسه العسكرية ، وأجلسا بينهما صاحب المنشرة ويداه مكبلتان يغطيهما المعطف وفوهتا مسدسيهما مثبتان على أضلاعه من كلا الجانبين ، واستقر في العربة الثانية عدد من الانصار بملابس الحطابين ، وكانوا جاهزين للقتال اذا ما لاحت أي بادرة خطر ، وكان الجينيرال (كيم ايل سونغ) ممددا على العربة الثالثة وفوقه لحاف يغطيه • واستقل بقية الانصار العربتين الرابعة والخامسة ، وكانوا مستعدين لايصال الجينيرال الى المكان المقرر مهما كلف الامر حتى ولو دعتهم الحاجة للتضحية بأرواحهم في سبيل ذلك •

فاذا ما نجحت خطتهم فسوف يكون لهم جميعا نصيب في البقاء وأما ان لم تجر الامور على الوجه المرسوم يتولى عندئذ قائد الفرقة وبعض الانصار مهمة رد الاعداء حتى ولو كلفهم ذلك أرواحهم بينما يؤمن باقي الانصار ايصال الجينيرال (كيم ايل سونغ) الى مكان مأمون ٠

وقص الانصار وبفخر واعتزاز كيف رجعت العربات الخمس بأقصى سرعة ممكنة على طريق (نين غام) بعد أن تم تجهيزها هكذا ٠ كانت البواريد المخبأة تحت ملابس العمل ، مهيأة لاطلاق النار ، وكانوا جميعا مشدودين وأعصابهم متوترة تكاد أن تطبق صدورهم ٠ فاذا ما بدر من صاحب المنشرة أي خطأ أو لاحت منه أي اشارة مشبوهة لجنود القوات الانتقامية فسدت العملية وضاع كل شيء ٠

لو لم يكن هنالك سوى الانصار لهان الامر اذ أنهم كانوا على أتم استعداد لان يموتوا دونما تردد أو أسف بعد أن يكبدوا القوات الانتقامية خسائر فادحة ويستوفوا منهم مسبقا ثمنا باهظا مقابل موتهم ٠ ولكن اذا ما وقعت مناوشة أصبحت سلامة الرفيق (كيم ايل سونغ) شخصيا مهددة ٠

وتابع واحد اخر من الانصار رواية القصة وهو يلوح بيده وقد سيطر عليه الحماس فقال : كنا نمسك ببواريدنا وأيدينا ترتجف ، وكان من بيننا سبعة عشر يركزون انتباههم الى أدنى حركة تبدر من صاحب المنشرة وأعصابهم متوترة ٠ وبعد قليل بدا لنا بعض من رجال قوات الانتقام وقد تجمعوا حول النار يتدفاون ٠ فصاح الحرس : ما هذه العربات ؟ قف ٠ فأشار قائد الفرقة برأسه الى صاحب المنشرة وهو يضغط على مسدسه على أضلاعه وكاد أن يغرس فوهته فيها ، وأمسكنا أنفاسنا وقد قبضنا على مسدساتنا ، فصاح صاحب المنشرة : انهم حطابون مرضى نريد أن ننقلهم الى المستشفى كما ترون٠ ومرت العربة أمام الحرس بسرعة فائقة ، ومرت العربات الاخرى كذلك دون أن تتوقف ٠ ومرت العربات الخمس بالنقطة الثانية بنفس الطريقة والاسلوب ودونما صعوبة، فأحس الجميع بشيء من الراحة ٠

واستأنف الكلام من كان يبدو أكثر شبابا وقال : ولكن عندما وصلنا الى اخر نقطة حراسة وصاح صاحب المنشرة خرج الحرس الى الطريق وزأر : أوقفوا عرباتكم، أريد التحري فيها ٠ وأخذت قلوبنا تدق واضطرب صاحب المنشرة ونحل ٠ وكانت النتيجة متوقفة على مقدار شعرة ٠

وعندما لاحظ قائد الفرقة أن صاحب المنشرة بدأ يستسلم للموقف ضغط مسدسه في أضلاعه ٠ وتظاهر صاحب المنشرة باسترداد أنفاسه وأجاب بأعلى صوته : ماذا دهاك : ماذا دهاك ؟ ألا ترى أن هؤلاء الرجال يعانون من مرض شديد؟ هيا ، أسرع الى الامام أيها الحوذي ، وانطلقت العربة كالسهم ولحقت بها باقي العربات ٠ وفوجيء الخفير فلم يتوفر له من الوقت ما يكفيه للتراجع وبقي هناك بكل بساطة وتطاير فوقه الثلج من مؤخرة العربات ٠

ونهض الشاب وهو يروي القصة ليرينا كيف كان قائد الفرقة يضغط فوهة مسدسه في أضلاع صاحب المنشرة وقال الانصار انهم ما ان اجتازوا العائق الاخير حتى اكتشفوا أنهم يغوصون بالعرق بالرغم من برد ذلك اليوم القارص ٠

● ● ●

كنت أنصت وقلبي يخفق في لهفة أنتظر نهاية القصة٠ يا له من زمن ٠٠ لو أبدى صاحب المنشرة أقل تصرف مشبوه أو لو أن الحرس كان أكثر فضولا لوقعت معركة بكل تأكيد ٠ ومجرد هذه الفكرة كانت تغمرنا بعرق بارد٠

وتنهد والد زوجي تنهدة عميقة والتفت بنظره مرة أخرى نحو الجينيرال وقال : حقا ان السماء تحميك ٠٠٠، وتابع الانصار في سرد قصتهم قال أحدهم : وبعد أن نجحنا في اجتياز نقاط الحراسة وقطعت العربات بعض المسافة ، تابعت العربة الاولى نحو (نين غان) وانعطفت العربات الاخرى نحو طريق ضيق ٠ وبعد قليل ترجل قائد الفرقة من العربة ونزل الانصار الاخرون وجاؤوا الى الوادي الذي نعيش فيه ٠

● ● ●

وبعد أن استمع الجينيرال الى القصة بكاملها ، عاد وكرر وصف ذلك الرجل المسن الذي كان في مهجع منشرة (شي بين لين تسو) وكم أظهر من طيب ٠ وجرتني هذه الكلمات على التفكير : أي كوري يتردد بأن يضحي بحياته من أجل الجينيرال (كيم ايل سونغ) الذي وضع فيه الشعب الكوري برمته هذا القدر من الايمان كايمانه بالشمس التي تشرق كل يوم ٠ وقد زاد ذلك في احساسي بمسؤوليتي في العمل على استرداده صحته ، وقلت في نفسي: علي أن أعتني به بمزيد من الدقة حتى يشفى بأسرع وقت ممكن ٠

ولم ينقض وقت طويل حتى جاء ذلك اليوم الكبير ، كنت أجرش الذرة البيضاء في الهاون لاعد الجريش للجينيرال وقد كان بعض التحسن قد طرأ على صحته وجلس ، وكنت أغسله بماء النبع العذب لاجعله أطعم

وألذ ما يمكن ، وكنت أعد له الفطور • ومنذ ذلك اليوم كان الجينيرال يرفض البقاء في السرير ، ولكنه كان لايزال نحيلا جدا شاحب الوجه ، لقد أصبح الان بحاجة لغذاء جيد ليتمكن استعادة قواه بسرعة ، ولكن أي غذاء غني في دوخنا الواقع في قلب تلك الجبال السحيقة مختبىء عن العالم الخارجي كنا لا نستطيع حتى تربية الدجاج أو اقتناء كلب أو أي من الحيوانات الاخرى خشية أن يكتشف العدو وجودنا ، وهكذا لم تكن لدينا حتى بيضة واحدة فكيف اذن يتوفر اللحم لتغذيته !

كنت على استعداد لان أجتاز مئات ال (ري) (الري يساوي ٣٩٢٧ مترا في النظام الميتري) لاجد له اللحم ، ولكن ذلك كان خطرا جدا اذ يمكن أن يكون فيه سبب لاكتشاف المكان الذي كان يقيم فيه الجينيرال ويمكن أن تنجم عن ذلك مصيبة بل نكبة • كنت أحزن كلما أعددت له طعاما ، وأخجل لحد أني كنت لا أستطيع أن أرفع وجهي عندما كنت أقدم له طعامه ، وكان طعامه يتكون في أحسن الحالات من مزيج من الشعير والذرة البيضاء أقدمها اليه مع حساء كنت أعده بالحشائش البرية ومسحوق الفاصولياء وكانت الفاصولياء متوفرة لدينا بكميات وافية، ولو اني استطعت أن أعد له الفاصوليا على الوجه الصحيح خلال وجوده في فترة النقاهة لكان في ذلك ما يشحذ قابليته للاكل• ولما كنت لا أستطيع الحصول على المرق المملح فقد كنت غير قادرة على أن أعد له مهروس الفاصولياء على حقيقتها ، فلم يكن لي الخيار ولم أكن قادرة على أن أقدم اليه الا ما يشبه مهروس الفاصولياء شبها بعيدا •

أما هو فقد كان يغدق علي بالثناء كلما راني أذوب خجلا وأنا أخفض رأسي لاخفي وجهي عندما أضع الطبق أمامه ويقول : « حساء الخضار البرية ! هذا نفيس ، والمرق لذيذ • خاصة مسحوق الفاصوليا هذا ، انه لذيذ الطعم • وبالرغم من ان الطعام لم يكن كثيرا فقد كان يأكل دوما بسرور وكان يجلس الى مائدة الانصار ولا يأكل قط قبل أن يراهم قد تناولوا ملاعقهم ، وعندما يكون هناك (تورتة) أو أي طعام خاص فقد كان يدفع به نحو الانصار •

وكان يقول بلهجة المضطرب المهتم : « أخشى أن نأكل مؤونة أسرتكم السنوية كلها ونأتي عليها فتبقون بدون طعام ، وكنت أجيبه : « لا تقلق فلقد كان غلالنا جيدا ولو أن ذلك قد كان على الطريقة البدائية ، ولم يبدِ لي أن ذلك كان يطمئنه •

وسرعان ما عادت اليه صحته ، وفي اليوم الرابع لوصوله كان يستطيع أن يقرأ وان يتحدث الى الانصار ، وبعد أسبوع تمكن من الذهاب الى منزل شقيق زوجي في الجهة المقابلة من النبع حيث استقر الرجال ، وكان يرشدهم في دراساتهم ، ولم تمض فترة الا وكان قادرا على تسلق الجبل ودراسة طبوغرافية المكان • وبعد أن أمضى مايقارب الخمسة عشر يوما هكذا قال فجأة : «لقد حان وقت الرحيل» فقال له والد زوجي في محاولة ليثنيه عن رأيه : « كيف يمكنك أن تذهب في هذا الثلج الكثيف ؟ ولم تسترد قواك بعد » ، ولكن الجينيرال أصر على الرحيل • لا شك في أن تلك الايام الخمسة عشر قد انقضت بسرعة ، ولكنها أيام لن أنساها قط • لقد أصبح الانصار بالنسبة لي وكأنهم أولادي أو أخوتي الصغار ، يساعدونني في الاشغال المنزلية، فلم يستريحوا منذ أول يوم حتى اخر يوم • كانوا يجمعون الحطب من الجبل وينضحون الماء ويسحقون الحبوب في الهاون أثناء النهار • حقا لقد بلغ بي الامر حد اعتبارهم عائلتي •

في عشية الرحيل كنت أسحق الذرة البيضاء والشعير ليحملوها معهم كوجبة ميدان جافة ، وكان الثلج في تلك الليلة ينهمر مدرارا بكبب ضخمة متراصة غزيرة •وأصبح الصباح وحان الوقت لرحيلهم ، وقبل أن يلحق الجينيرال كيم ايل سونغ بالانصار شد على يد كل منا وقال لوالد زوجي : نحن الشباب من أبناء كوريا مسؤلون عن كونكم تعيشون حياة محرومة من الافراح هنا مختبئين عن العالم الخارجي في بلد غريب اضطررتم الى اللجوء اليه لتتمكنوا من البقاء • ولكن أولونا ثقتكم وانتظروا ، ولا بد من أن يأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نعيش نحن الكوريون رجالا ونساء شيبا وشبانا حياة امنة في بلادنا المحررة وقد تحررنا من كل قلق وهم وغم •

وكرر لنا النصح بالذهاب نحو منطقة (لوت تسوكو) لان العدو سوف يرسل بدون شك حملة انتقامية في الربيع، ثم ودعنا •

ورافقهم ابني الاكبر (يونغ سون) كدليل حتى (بالين كو) في مقاطعة (وانغ شينغ) ، وعندما عادحدثنا بأن الجينيرال قد قال عند ذهابه : « أننا سوف نلتحق بوحدات الانصار وسوف نواصل النضال حتى نحرر كوريا ثم نلتقي في بلادنا المحررة » •

وبعد ذهابهم كنا نحن نحس وكأنه لا يزال بيننا وخاصة في الليل فقد كان يبدو لنا سماع الانصار وهم ينشدون الاناشيد ونحس وكأننا نشاهدهم وهم يرقصون. كنا نشعر بالوحشة ويبدو لنا المنزل خال بدونهم . عندما ذهب ـ وكأن ذلك قد تم نتيجة اتفاق فيما بيننا ـ فقد جلسنا صامتين قرب النار حيث استراح وكنا نحس بالفراغ الذي تركه .

وكما كان قد توقع مسبقا فمنذ شهر شباط من العام التالي تغلغلت قوات العدو الانتقامية الى الجبال التي كنا نعيش فيها وراحت تجوب كل مكان وتطوف مطلقة النار كيفيا على هواها دون تبصر .

وعملا برأي الجينيرال فقد غادرت أسرتنا المكان في احدى الليالي وتوجهت الى (تايبينغ كو) في (لوت تزوكو) حيث استقر بنا في مزرعة صغيرة عائدة لملاك صيني .
وأعتقد بأن ذلك كان في شهر حزيران لان الناس جميعا كانوا يعيشون في حقولهم ، وحضرت فرقة كبيرة من جنودنا يوما الى (تايبينغ كو) وخرج القرويون لاستقبالهم وقالوا ان جيشنا عائد بعد أن حقق نصرا كبيراً في معركة (لاوهيي شان) وخرجنا جميعا على طول الطريق الذي كان سيمر عليه للترحيب بالانصار والتهليل لهم .

وفجأة رأيت وسط القطعات السائرة رجلا مهيبا حلو القوام ، فتسارعت ضربات قلبي ، ما من شك في أنه هو ، لقد كان الجينيرال (كيم ايل سونغ) الذي أقام بيننا خلال فترة نقاهته من مرضه في الشتاء الماضي ! وأوشكت أن أسرع اليه بالرغم مني عندما أمسك بي والد زوجي ، وقد توقع ما كنت أنوي عمله ، وقال لي : « لا تستوقفيه، انه يحقق عملا باهرا ! » .

وكنت أتمنى من أعماق قلبي أن ألقاه ولكنني لم أتمكن . وعندما كانت نساء قريتنا تتحدث عنه كنت لا أذكر حرفا واحدا عن اقامته في منزلنا ، ولو أني فعلت لاعطيت انطباعا عن نفسي بأني أتبجح .

وبعد يومين ، وبينما كان والد زوجي يسير على الطريق صادف شابين من الانصار الذين أقاموا بيننا في الشتاء الماضي . وفيما بعد ، جاء الجينيرال لزيارتنا ومعه بعض الانصار ، حتى أنه قد جلب لنا لحما ، وعلمت بذلك فيما بعد . لقد جاء ليرى والد زوجي وتحدث اليه طويلا. وفي ذلك اليوم كان أصغر أخوة زوجي مريضا يلازم الفراش وعندما راه الجينيرال ممددا سأل عما به ، وقبل أن يغادر الدار دس نقودا تحت وسادته . وعندما عدت من الحقول وعلمت بذلك كان تأثري بالغا جدا يفوق التعبير . كيف يمكن لرجل بمثل عظمته أن يكون على هذا القدر من الطيب فيبادر بالاحسان وينتبه الى مثل هذه التفاصيل .

—

وفي اليوم التالي بينما كنا جالسين نتحدث عن الجينيرال بحماس بالغ ، جاءنا بغتة رجلان من الانصار يسحبان حصانا أبيض . وأوضح الرجلان أن ذلك الحصان كان جزءا من الغنائم التي حصلوا عليها في معركة (لاوهيي شان) وان الرفيق القائد قد أرسله اليكم كهدية منه ، ورجانا أن نقول لكم ان الحصان وان كان نحيلا بعض الشيء حاليا فان بامكانكم أن تغذوه وسوف يكون حصانا جيدا يفيد في طحن الحبوب وفي فلاحة الحقول ويساعدكم في انجاز عمل أفضل ووقفنا مشدوهين ، غير قادرين على الكلام .

كان والد زوجي يرتجف حماسا وهو يمسك بأعنة الحصان ، فكيف بمشاعره ! الان وقد تحقق حلم حياته ، ان يمتلك حيوانا للجر ! ما أسعده ، لقد أصبح قادرا على تحسين انتاجه بفضل الجينيرال .
وأطعمنا الحصان وأغدقنا عليه الغذاء واستعملناه في المزرعة ولكننا كنا نخشى أن يلفت انتباه العدو ، ولذلك فقد بعناه في السنة التالية لنشتري بثمنه ثورا ، لان العدو كان يصادر كل حصان جيد يصادفه للاستفادة منه في المجالات العسكرية .

وذهبنا فيما بعد الى منشوريا الشمالية هربا من عمليات العدو الانتقامية ، ولكننا تحملنا الكثير وعانينا من حرمان كبير لاننا لا نتمكن من ايجاد عمل هناك وقد قدم لنا ذلك الثور خدمات كبيرة في تلك الفترة ولولاه ربما كانت اسرتنا برمتها قد ماتت جوعا . وعندما كنا نجد أنفسنا في موقف صعب ولا نستطيع العثور حتى على قطعة أرض صغيرة نفلحها كان الثور وسيلتنا الوحيدة لكسب لقمة عيشنا ، فقد كان زوجي وابنتي الكبرى يجمعان الفصة من وادي (أما هوت تسو) خارج (نان هولو) ويحملانها على ظهر الثور الى السوق . وبفضل الثور تمكننا من أن نعيش عيشة الكفاف طوال سنين عديدة على الجريش والماء .
اننا ندين بالحياة الى الجينيرال (كيم ايل سونغ) ، تلك هي فكرة الاعتراف بالجميل التي كنا نحملها دوما ،

على أننا كنا نعلم أن علينا أن نحتفظ لانفسنا بهذا السر ٠

وفي نيسان من سنة ١٩٦٠ ، كنت عائدة الى كوريا ، وطني الام ، وقلبي مضطرب لفكرة أنه سوف يكون لي شرف الالتقاء من جديد بالرفيق (كيم ايل سونغ)في بلادي المحررة ٠ وكانت عشية الاول من أيار ١٩٦٠ ، ها أنا من جديد على أرض وطني العزيز ، كنت أتذكر وأنا أتأمل شوارع (بيونغ يانغ) تحيط بها المباني الضخمة ، ما قاله القائد (كيم ايل سونغ) قبل عشرين سنة خلت وهو يغادر منزلنا ، وقلت في نفسي : هاقد عدنا لنعيش حياة عزيزة كريمة في بلادنا الجميلة المشرقة ، كما يعيش الاخرون ، تماما كما قال لنا ٠

وفي اليوم التالي لوصولي الى البلاد كان لي شرف مقابلته ٠ كنت أظن أني عندما ألقاه سوف أروي له كل ما حدث لاسرتي طوال العشرين سنة التي انقضت ، الا أنني عندما وجدت نفسي أمامه وجها لوجه وقفت عاجزة غير قادرة على أن أنطق بكلمة واحدة ٠ فلقد استقبلني كما يستقبل أمه هو ، لقد أخذني من يدي وقادني الى مقعد وقال لي : « كم من محنة مرت بك منذ ذلك الحين ! » ولكنني كنت غير قادرة على الاجابة ، وكل ما كنت قادرة فعله كان فقط أن أبقى هنا ، هكذا أنظر طويلا الى وجهه اللطيف وأتأمل ما فيه من طيب وكرم ، وبينما أنا كذلك أتأمل اذ بوجهه الصبوح يأخذ طابع الجد ، وانهمرت على وجهي دموع على الرغم مني ٠ فقال : ولماذا تبكين يا أماه في هذا اليوم السعيد ؟ وعندما قال هذا فقط أحسست بأني كنت أبكي ، واستطعت أن أتمتم فأجبته : « ذلك لاني أتذكر ذلك اليوم الذي تركتنا فيه أيها الرفيق الرئيس ، فلقد قلت لنا وقتئذ ان اليوم المشرق آت بكل تأكيد ، اليوم الذي نستطيع فيه أن نلتقي والقلب خفيف ، وها أنا ذا أحظى بشرف اللقاء بك ثانية في وطننا ، اني أزرف دموع الفرح » ٠ فضغط على يدي أكثر فأكثر وكنت مضطربة لدرجة أني أصبحت غير قادرة على التفكير بجميع المواضيع التي كنت قد أعددتها لاقولها له عندما ألقاه ٠

الان ، ومنذ عودة أسرتنا الى وطننا العزيز فقد حصل لي الشرف بأن ألقاه بمناسبات عديدة ولكنني كنت أتردد في أن أقدم له التذكار الذي احتفظت به على الرغم مني ثم أحجم ، وأقول في نفسي : « كيف أتجرأ على أن أقدم اليه شيئا بمثل هذه القيمة التافهة بحضور الاخرين!»

وقدمت اليه التذكار يوم الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٦١ ، يوم عيد ميلاده اذ كنت مع أسرته كلها أشارك في الاحتفال بعيد ميلاد رئيس المجلس ٠ لقد كانوا يعاملونني كواحدة من أفراد العائلة فأخرجت قلم الحبر الذي احتفظت به في قلبي وقدمته اليه وقلت له : « عزيزي رئيس المجلس ، ان الحصان الابيض الذي غنمته في معركة (لاوهيي شان) والذي أعطيتنا اياه كهدية قد تحول الى قلم حبر ٠ فلقد أطعمناه جيدا وأحسنا تغذيته كما طلبت منا أن نفعل ، واستخدمناه في أعمال المزرعة ، ثم بعناه واشترينا ثورا اذ كان من شأن الحصان أن يجلب أنظار العدو الينا ، ومنذ ذلك الوقت استبدلنا الثور بآخر عددا من المرات ، ولو لم يكن لدينا ثور لما توفر لعائلتنا كسب أسباب عيشها قط ولماتت جوعا بجميع أفرادها ٠ ولقد عشنا جميعا بمساعدة ذلك الثور ٠ وبعد التحرير، أخذناه الى احدى التعاونيات (التي أصبحت فيما بعد : مقاطعة الشعب) ٠ وعندما غادرنا لنعود الى بلدنا في هذه المرة فقد عوضونا عن الثور فاشترينا قلم الحبر هذا ٠ وقد أتيتك به كهدية لاني أريدك أن تعيش طويلا ، طويلا بقدر طول عشرة آلاف سنة (الكلمة الكورية لقلم الحبر ، ستيلو، تعني : ريشة تدوم عشرة آلاف سنة) ٠ فاقبله ، أرجوك»٠ فقال بتأثر بالغ وهو يمسك بقلم الحبر ٠ وعرض قلم الحبر على أفراد أسرته جميعا وشد بقوة على يدي مرة أخرى وقال لي : « شكرا يا أماه ! » ٠

وعندما جاء رئيس المجلس الى بيتي يوم ١٥ أيار ١٩٦١ وبقي فيه أكثر من ساعة ونصف مستعرضا راجعا بالذاكرة الى الزمن الماضي ، عادت الى ذاكرتي تلك الاشياء القديمة جميعا كما لو أنها كانت قد حصلت بالامس ٠

ان ذلك الذي اعتنيت به عندما كان مريضا والذي أقام في كوخنا الصغير يجلس الان في منزلنا باسما بنفس رضية وهو ينظر من خلال النافذة الى شوارع (بيون بيانغ) البديعة ، بينما راح أحفادي يقفزون فرحا ، وبينما كنت أتأمله وهو ينظر من النافذة ، كنت أتمنى له من جديد ومن كل قلبي : « طول البقاء » ٠

وكنت أكرر ذلك واكرره في أعماق قلبي « ليتك تعيش طويلا ٠ اني آمل أن تعيش عشرة آلاف سنة لتتمكن من اشادة الاشتراكية والشيوعية في بلادنا لتترك للجيل القادم فردوسا على الارض يرتع فيها بمزيد من الحرية والسرور ٠



العربية

للمستشرق يوهان فك

عرض وتحليل : مازن الوعر

مدخل

ان انتشار لغة عالمية وامتدادها على مساحات واسعة وتشعبها الى لهجات كثيرة وتطوير أساليبها وتأثير بعضها في بعض وتفاعلها ... شيء قديم ضارب في التاريخ ... فلم تعش اللغات القومية منفردة في زمان ومكان محدودين وبمعزل عن التأثيرات اللغوية الخارجية التي تحول دون تطورها ، الا أن دراسة هذه التأثيرات اللغوية صوتا ومعنى حديثة العهد وهي لم تبرز في صورة علمية موضوعية الا سنة ست عشرة وثمانمائة وألف ميلادية .

وقبل هذه السنة التي درست اللغة فيها دراسة علمية موضوعية كانت هناك محاولات لدراسة لغة من اللغات العالمية ومقارنتها مع اللغات الاخرى التي احتكت بها فغلبتها وأدخلتها في مسارها ... ودراسة المؤثرات المتبادلة بينهما ودراسة لهجاتهما وأساليبهما ... وقد ازدادت العناية بالدراسات اللغوية (اللسانيات والصوتيات الحديثة) في هذا العصر ولقيت انتشارا واسعا في بلدان العالم وأصبحت هذه البلدان تعنى باللسانيات والصوتيات العامة وقلما تعني بعلم لغة أمة معينة .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن هناك قوانين لغوية مشتركة بين اللغات وان كان لكل لغة مميزاتها وخصائصها وقوانينها اللغوية الخاصة بها .

الدراسة :

يكاد البحث في حقل الدراسات اللسانية والصوتية يكون ضعيفا في حقل الثقافة العربية المعاصرة وذلك لان هذه الدراسات واشجة الصلات بكل ما يتعلق بالتكنولوجيا الحديثة ... فهي تتعلق بالفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا التشريحية والرياضيات المعاصرة ... بل لا غنى لها عن دراسة الطب في أحايين كثيرة . وكل هذه العلوم ما زالت غير متبلورة بصورتها العلمية الدقيقة في بلادنا . فاذا كان الامر كذلك فان هذا العلم قد قطع شوطا طويلا وأخذ بعدا حقيقيا في أوربا وفي الغرب .

وعلى هذا فان أي باحث عربي يتصدى لهذا العلم لا بد أن يترك فيه بعض الثغرات العلمية الموضوعية نتيجة لتخلف العلوم التي سبق ذكرها . ولكن ماذا عن البحث الذي نحن بصدده : العربية : دراسات في اللغة ولهجاتها وأساليبها والذي مضى على ظهوره أربعون سنة ونيف ؟! هذا البحث للمستشرق الالماني يوهان فك الذي بلغ اليوم من العمر عتيا وهو ما يزال حيا يرزق يقيم في مدينة « هالي الالمانية » .

وحين نتصفح هذا الكتاب فاننا واجدون بعض الثغرات اللغوية فيه ... ولا ضير في ذلك لان مثل هذا البحث فريد في نوعه ومادته وهو بالتالي لم يكن يستند على دراسات لغوية سابقة ولا سيما في اللغة العربية .

١ — يعالج الباحث بادىء ذي بدء في المقدمة ارتباط الاسلام باللغة العربية وتطور هذه اللغة بانتشار الاسلام وتوسعه في بيئات أجنبية أكسبتها أساليب خاصة ولهجات متميزة ، ويعالج الباحث أيضا أثر العربية وتأثيرها في بلاد المشرق والمغرب وهو بصدد حديثه عن الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية (الاموية) ، فقد وضح المستشرق يوهان فك أن علاقات لغوية جديدة قد نشأت على صعيد

الاسلوب الكتابي ثم على صعيد الصوت ٠٠٠ وهذا الجديد في اللغة ساعد عليه الفاتحون العرب والمغلوبون من غير العرب ، ولعل هذا التطورالسريع في اللغة العربية دفع بعضهم لوضع علم القواعد لحفظ القران الكريم من الفساد ٠٠٠ ولكن بعض البيئات العربية احتفظت باللهجة العربية الاصيلة بعيدا عن التطور ٠٠٠ وقد أتى المؤلف بأمثلة على هذا التأثيرمنها مثال الجاحظ الذي كشف تأثير الفارسية بالعربية والعربية بالفارسيةوأثرها ببعض اللغات الاخرى٠

هذا الشيء أنشأ حركة ضد فساد اللغة عرفت بمبدأ « تنقية اللغة » ٠

ومن العوامل التي أدت الى تطور اللغة العربية ـ كما يذكر الباحث ـ الموالي الذين دخلوا الحياة العربية سواء بوضع العلوم أم بقول الشعر وبذلك ضعف الاحساس اللغوي القديم عند الشعراء ٠

ان ظهور حركةالتنقية اللغوية ـ كما يذكر الباحث ـ وطموح العرب المسلمين لامتلاك ناصية العربية أوجد الدافع في أوائل القرن الثاني الهجري الى دراسة القواعد الناظمة للغة العربية ٠

٢ ـ وفي فقرة أخرى تحت عنوان « عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي » يذكر الكاتب ان العربية لم تهو بسقوط الدولة العربية ولكن لا بد من شيء جديد في هذه الدولة ٠٠٠ من هنا بين الكاتب أن الذين كانوا يتسلمون زمام الحكم لم يكن بينهم وبين العربية هذه الصلة القوية التي تصلهم بطبيعة الحياة العربية من هنا كان عصر المولدين المحدثين من الكتاب والشعراء وهذا ما جعل اللغة العربية سهلة وشفافة في الشعر ومن هذا الباب أيضا دخل اللحن وانتشر ٠

٣ ـ ويتحدث الباحث عن العربية في « عصر هارون الرشيد » ويذكر أن اللحن قد انتشر بشكل أكبر وما كان كتاب الكسائي « لحن العامة » الا دليلا على انتشار اللحن ، واضافة لذلك فان مبدأ « تنقية اللغة » في هذا العصر كان قد نضج نضجا تاما ٠

٤ ـ وينتقل المستشرق يوهان الى « العربية المولدة » التي تنادت بها الطبقات الوسطى ٠٠ ويذكر أن اليهود والنصارى تكلموا بها لبعدهم عن العربية الفصيحة ٠

هذه العربية المولدة تركت المتصرف الاعرابي وقد كان الادب في هذه الفترة بعيدا عن هذه اللغة بشكل عام ٠

٥ ـ ويدرس المستشرق بعد ذلك « العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية » ويستشهد على تطور هذه العلاقات اللغوية بهذا العصر بكتب الجاحظ ولا سيما كتاب « البيان والتبيين » ٠

وفي رأي الباحث أن اللغة البدوية المثالية قد طرأ عليها بعض التجديدات في القرن الثالث الهجري وساعد على ذلك تسلم الاتراك للسياسة في عهد المعتصم ، وببدء تسلمهم السياسة يبدأ تاريخ جديد للانحلال اللغوي ٠

٦ ـ وتحت عنوان « العربية لغة الادب » يستمر الباحث يوهان فك في ذكرانحطاط المستوى الثقافيويستشهد على ذلك بما أورده ابن قتيبة حول هذه الظاهرة في كتابه « أدب الكاتب » ويذكر الكاتب أن هوة كبيرة كانت بين العربية الفصحى والعربية المولدة ، اذ أن النحويين في مسامراتهم لم يستعملوا الفصحى في بعض الاحايين وبذلك تصبح العربية الفصحى لغة العلم والادب وتصبح العربية المولدة الدارجة لغة الشعب في نهاية القرن الثالث الهجري٠

٧ ـ ويتابع يوهان فك حديثه عن « العربية ولهجات البدو في القرن الرابع الهجري » فبزحزحة اللغة الدارجة للغة العربية الفصحى تغير نظر المثقفين الى لهجات البدو ٠٠ ان للثقة التي تمتع بها اللغويون أثرا قويا في تقصي اللغة البدوية ٠٠٠ فقد ألف ابن جني في « الخصائص » بابا مستقلا لاغلاط الاعراب حتى ان الازهري وقف موقف المرتاب من لغة البدو ، أضف الى ذلك أن حروب القرامطة التي انتزعت الحجر الاسود من حرم الكعبة قد ألقت ضوءا جديدا على البدو فنفرت العلماء منهم ٠

ومما يدل على أن مبدأ « تنقية اللغة » كان بعيدا عن دائرة اهتمام وزير كالصاحب بن عباد أنه كان يسامر بلغة اللصوص والدجالين ٠

٨ ـ ويعود يوهان فك للحديث عن « العربية واللغة المولدة في القرن الرابع الهجري » ٠٠٠ فتحت هذا العنوان يوضح الباحث تطور اللغة المولدة وتميز كل لهجة في بلد معين عن لهجة أخرى في صقيع آخر من أصقاع المملكة الاسلامية ٠

ويأتي الباحث بمثال على ذلك من مؤلف المقدسي « أحسن التقاسيم » على أن مقام العربية الفصحى من حيث هي لغة الادب ظل ثابتا في العالم الاسلامي ذلك لوحدة الثقافة بل على العكس من ذلك فقد ازداد انتشار العربية الفصحى لان كل اقليم أخذ يسهم في اقامة صرح الادب٠٠٠ ثم لم تكن هناك حواجز بين الاقاليم تمنع العلماء والادباء من التنقل ٠

ولكن الذي ثبت العربية الفصحى هو أنها صارت لغة كاملة الحلقات لم يعد لها تأثير حي مع لهجة الاعراب ٠

ويستمر يوهان في حديثه عن « اللغة الدارجة وظهورها في القرن الرابع الهجري » فقد وضح الباحث ان شعر المناسبات والفرص يحمل طابع العربية المولدة

أكثر من الشعر الفني الرفيع ... فقد أصبح الشعر يستخدم لغة الشحاذين والمكدين ببغداد .. وفي هذه الاثناء اخترع الموشح بالاندلس وكان ثورة على العروض القديم.

هذا المزج بين لغة الكتابة الفصيحة واللغة الدارجة العامية اقتصر على الاندلس ... ويستشهد الباحث مرة أخرى بكتاب المقدسي « أحسن التقاسيم » لمعرفة العلاقات اللغوية لذلك يفرد عنوانا لهذا الموضوع هو .

٩ ـ « وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الاسلامي ابان القرن الرابع الهجري » وعناية المقدسي كما يذكر الباحث لم تقتصر على العربية بل امتدت الى جميع اللغات التي يجري الكلام بها في ايران لذلك العهد.. وقد لاحظ المقدسي الفروق اللغوية بين مختلف البلدان الاسلامية في الكلام والاصوات واللغة .

ويأتي يوهان فك الى العربية في عهد السلجوقيين فقد أصبحت اللغة الفارسية لغة سدة الملك والسياسة والادب والشعر وأخذت تنافس العربية .. على أن السلجوقيين عنوا بالعربية لانها لغة الدين والقران فافتتحوا المدارس لتعليمها دون تعليم نحوها .

ويقدم التبريزي لنا صورة واضحة عن انحطاط مستوى الثقافة اللغوية في بغداد ابان القرن الخامس الهجري وهكذا راح العلماء لا يميزون بين العربية الفصيحة والعربية المولدة حتى ان هناك بعض الظواهر اللغوية وجدت عند بعض اللغويين أنفسهم ... وهكذا أخذت العربية طابعها المحلي في كل اقليم من أقاليم الدولة الاسلامية .

١٠ ـ ويعود يوهان فك من حيث بدأ بالعربية فتحت عنوان « عود على بدء » يتحدث عن حلقة الختام في انحلال اللغة العربية في السيل المغولي الذي لم تنج منه سوى مصر .. ولكنها هي الاخرى وقعت تحت قبضة العثمانيين فيما بعد .. وهكذا مرت العربية بأحلك الظروف منذ تلك الفترة . وتبدأ مرحلة حديثة بحملة نابليون على مصر وقيام الدولة الحديثة على يد محمد علي ...

وتنشأ حركة لاحياء التراث وبعث لغوي جديد ، وتعود حركة تنقية اللغة من جديد ووجدت المجامع اللغوية في العواصم العربية .

على أن هذه الحركة قصرت نقدها على ظواهر ومسائل التعبير في حين أن بواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الاوربية وهذا واضح في عربية الصحافة بوجه خاص وهي تقرب الشقة بين العربية الحديثة واللغات الاوربية الراقية تقريبا .... الا أن وسائل الحضارة المعاصرة من خدمة في الجندية ثم المذياع والحاكي والخيالة كل ذلك يعمل على تقريب الالسنة العربية .

وعلى الرغم من ظهور حركات في مصر تدعو الى قواعد لغوية حديثة وتنحي بالنقد على العربية الفصيحة الا أن هذه الدعوات ظلت قاصرة ولم تعد وريقات جافة في مهب الريح.

ان قيام العربية في الاقاليم الاسلامية رمز لغوي لوحدة الاسلام في الثقافة والمدنية معا .

وجهة نظر نقدية :

هذا البحث قد كتب بخط بارع هو من عمل المستشرقين المهتمين بالدراسات اللسانية والصوتية ولاسيما المتعلقة باللغة العربية . وهذا الكتاب عالج ناحية لغوية مهمة وهي اللهجات على أن أهميته تأتي من أن يوهان فك كان أول الباحثين الذين يعالجون أمر المهجات ولئن عني المتقدمون قليلا بأمر اللهجات فان عنايتهم تحتاج الى تصحيح آرائهم وفق مقتضيات العلوم اللغوية الحديثة .

أولى مميزات هذا البحث أن مؤلفه أعطانا صورة مختلفة تماما لما أعطاه المتقدمون عن اللغة العربية . ولعل هذا الفارق بين الصورتين يعود الى أن المتقدمين أعطونا صورة عن العربية من منظار نحوي قواعدي ، أما المستشرق يوهان فك فانه نظر الى العربية في طبيعتها دون هذا المنظار الذي يعقدها .

والمستشرق الالماني في بحثه هذا لايهمه الدراسة الطولانية والعرضانية للغة وانما نظر اليها من هذا البعد الثالث وهو : **العمق وهذه ميزة ثانية للكتاب .**

فالكاتب لا يهمه دراسة أكبر مساحة امتدت عليها العربية قدر ما يهمه دراسة هذه اللغة في بيئات مختلفة دراسة مستعصية لكل الاتجاهات اللغوية ولو أن الكاتب تبين لنا متعجلا في نهاية بحثه ولا سيما عندما تحدث عن الفترة الممتدة من عصر السلاجقة الى العصر الحاضر .

واذا كان الباحث قد تعمق في بحثه فانه سار مع هذه الدراسة العميقة أشواطا ومسافات كبيرة قطعتها اللغة العربية **من هنا تميز بحثه بالشمولية ...** وهنا نقع على ميزة ثالثة في الكتاب .

والحقيقة أن الباحث حاول أن يسير مع تطور اللغة العربية منذ انبثاق البعثة الاسلامية وما أحدثته هذه الحركة من تغيرات على صعيد الحياة الاجتماعية والعقائدية والثقافية عامة والحياة اللغوية خاصة ... وظل يسير مع هذا التطور الى مسافة بعيدة امتدت أربعة قرون ونيف .

ولكي يستقيم أي بحث لغوي أو أدبي فانه لا بد له من هذين البعدين : البعد النظري والبعد التطبيقي ، **الحق يقال ان المستشرق الالماني يوهان فك قد طرق نظريته اللغوية التأثر اللغوي وفق التغيرات السياسية والاجتماعية من خلال الامثلة التي كانت تعج في بحثه ...** وهذه ميزة رابعة للكتاب .

فالشيء الذي يلفت انتباهنا لدى قراءة الكتاب تلك الامثلة المختارة والدقيقة التي تدل على صبر وأناة لما تركه المتقدمون . وهذا الشيء يعطي بحثه أهمية ممتازة لان المستشرق يوهان فك في هذا لا يبقى في مجال العموميات بل هو يعطي نظريته اللغوية من خلال الامثلة التطبيقية « لحن العامة للكسائي ــ البيان والتبيين للجاحظ ــ أحسن التقاسيم للمقدسي الخ ... » وهذا شيء مهم تتميز به الدراسات اللغوية الحديثة .

كل ذلك بجهد فائق النظير في دراسة تطور اللهجات والاساليب في اللغة العربية اذ أن الباحث دل من وراء ذلك على مدى اطلاعه على الثقافة العربية بشتى أنواعها ولا غرو في ذلك اذا عرفنا أن الدرسات الاستشراقية في المانيا تطبع بهذه السمة وهذه ميزة خامسة للبحث .

أما الخاصة السادسة لهذا الكتاب فهي أنه يغلب عليه العرض والمنهج التاريخي الذي يفتقر الى النظرة اللغوية الحديثة التي تتألق اليوم والتي تعتمد على دراسة اللغة على أنها شيء قائم برأسه كما يراها فردينان دي سوسور .

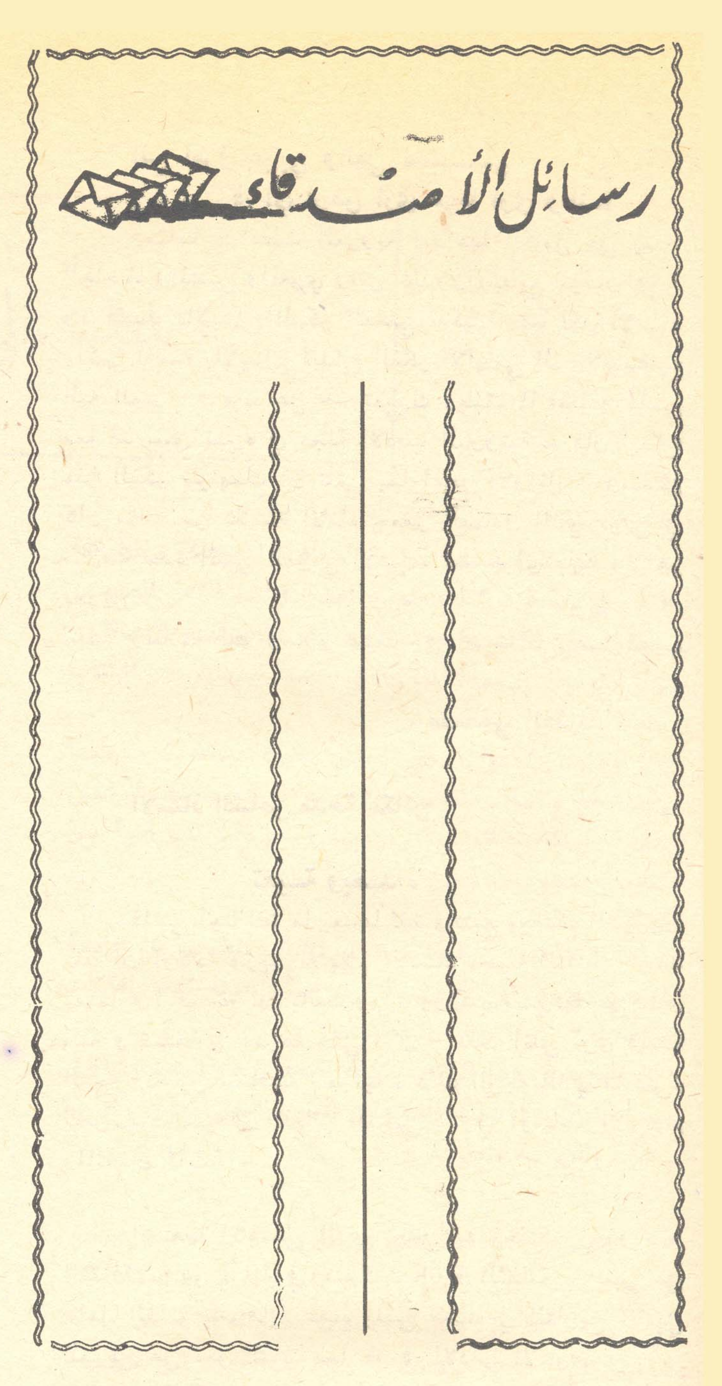
ويمكن أن نسوغ ذلك بِقِدَمِ الكتاب نفسه اذ أن الدراسات اللغوية وقتذاك كانت في بداية طريقها ولم تكن قد تأطرت وأخذت أبعادها كما هي عليه في العصر الحديث أضف الى ذلك أن هذا البحث جاء من كاتب بعيد عن العربية ولو أنه كان قد ألم بعلومها وتاريخها .

والحقيقة أن الدراسات اللغوية تفجرت في هذا العصر مع تفجر الحركة العلمية التي شقت عباب الفضاء. ان المؤلف أعطانا بحثا دقيقا عن تطور الاساليب في اللغة العربية واللهجات في الازمنة المختلفة والامكنة المتعددة والعوامل التي عملت في هذا التطور من جنس وزمان ومكان .

وترجع أهمية هذا البحث الى أنه كان نوعا جديدا في الدراسات اللغوية لم يسبقه اليه أحد ولم يعالجه . وكل ما في الامر أننا نجد نتفا في الكتب تمت بقليل الى هذا الموضوع الجديد .

والخلاصة الاخيرة في هذا البحث أنه **يغلب عليه طابع الوصف والاستقراء والاستنتاج والاستنباط من خلال الامثلة** . وهذا يخالف العديد من الباحثين اللغويين أمثال الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابيه « علم اللغة ــ وفقه اللغة » اذ أنه كان يعطي نظرات اجتماعية ويطبقها على البحث اللغوي الذي هو بصدده دون الانطلاق من المثال اللغوي للحصول على النظرة الاجتماعية والسياسية .

ويبقى الشيء الذي لا نستطيع نكرانه هو أن هذا الكتاب يعد أول نافذة تفتح في الدراسات اللغوية المعاصرة من لدن المستشرق الالماني هو يوهان فك ويعد الكلمة الاولى التي قيلت من أجل أن تقال بصددها كلمات في هذا التراث اللغوي العربي التالد ويفضل أن تكون هذه الكلمات من باحثين عرب لانهم أدرى بلغتهم وأعلم بها رواية ودراية ولا سيما كبحث عن تطور اللهجات والاساليب العربية منذ القرن الرابع الهجري حتى العصر الحديث وذلك لانه قد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى من مقامها المسيطر،واذا صدقت البوادر ولم تخطىء الدلائل نستحفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية العربية ما بقيت هناك مدنية عربية اسلامية .



الاديب الاستاذ عيسى فتوح المحترم

تحية عربية طيبة :

أرجو المعذرة لتأخري بتدوين الشكر لكم على هديتكم الادبية الثمينة : « أديب اسحق ـ باعث النهضة القومية » فقد آثرت أن أطالع الكتاب لاقول فيه الكلمة الواجبة الصادقة • وما كدت أقرأ المقدمة البديعة التي خطتها يراعه الاستاذ نديم عدي ، وأنتقل الى الفصل الاول حتى شدني الموضوع الى مطالعة بقية فصول الكتاب • وقد أعدت قراءة بعضها لأتذوق ما فيها من حلاوة البيان ، وعذوبو الادب الرفيع •

والحق آنكم آبدعتم كل الابداع في هذا المؤلف النفيس ، ووضعتم أمام الناطقين بالضاد أثرا جليلا يشير بوضوح الى عبقرية أديب دمشقي تألق نجم شهرته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر • ولم تقفوا عند حد السرد التاريخي والتحليل المنطقي العميق ، بل جئتم بأشياء جديدة تتعلق بحياة صاحب الدرر ، ووجهتم الاضواء الكاشفة التي تبين مراحل نبوغه وتفوقه في مضامير المسرح والادب والصحافة الحرة ، ومناهضة المستبدين والمستعمرين • وقد كتب غيركم عن ذلك الانسان الابي الحر الذي تتلمذ حينا على جمال الدين الافغاني ، أحد رواد الحرية في القرن الماضي ، ولكنكم تغلغلتم الى أدق دقائق فكر أديب اسحق ، وجلوتم شخصيته الفذة ونفسيته التائقة الى الثورة على الظلم والظالمين ، فكان مؤلفكم فتحا جديدا ، وتحفة غالية زادت المكتبة العربية ثراء ورواء •

حلب في ٢٤ـ٥ـ١٩٧٦ عبد الله يوركي حلاق

للحقيقة وللتاريخ :

حول اخوان الصفاء وخلان الوفاء

قرأت على صفحات « الثقافة » الزاهرة ما كتبه كل من الاستاذين اسماعيل المير علي من سلمية ومصطفى الخش من مصياف عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، وقد اذهلني كما ساءني اقدامهما على التصدي لمواضيع ليست من اختصاصهما ، وتخرج عن نطاق تفكيرهما ، ومحاولتهما اظهار نفسيهما بالقدرة على البحث العلمي ، وخوض المواضيع الفلسفية المعقدة ، والاغرب من ذلك زجهما اخوان الصفا في اتون الاقليمية الضيقة ، كقول الاول عنهم انهم أسسوا جمعيتهم في بلدة « سلمية » وقول الثاني بل على العكس في بلدة ـ مصياف ـ ، وحبذا لو انهما رجعا الى رسائل اخوان الصفا نفسها وتمعنا فيها اذن لوجدا أن هؤلاء ارتفعوا بافكارهم فوق الاقليمية والطائفية ،وتربعوا على اريكة العالمية والانسانية ، فهم لم يكونوا لطائفة او لبلدة او لاقليم بل هم ـ الاوائل ـ بين العرب الذين خطوا سطور الفلسفة الكونية على صفحات اكبر موسوعة علمية ، وكرسوا انفسهم لخدمة العلم والدين وتوحيدهما بحيث يشكلان الدستور الموحد للانسان المنعتق من القيود والاغلال •

لا اريد ان اطيل الكلام عن الموضوع الذي هو مدار أبحاث طويلة ودراسات قيمة تناولها أكثر من مئة عالم ومؤرخ منذ مطلع القرن العشرين حتى الآن . واذا كان لي ما اقول اخيرا فاني ادعو الكاتبين الصديقين الى القاء سلاحهما ، وترك الخوض في هذه المواضيع لذوي الاختصاص من الفلاسفة والعلماء والباحثين ، وذلك تفاديا من الوقوع في الاخطاء ولكي تبقى الحقيقة والتاريخ العربي مصونة في برجها العالي وبنجاة من المزاعم المغلقة والافتراضات البعيدة عن الحقيقة .

ـ سلمية ـ الدكتور تميم القطريب

أخي الشاعر أحمد الصافي النجفي ـ بغداد

لقد طاشت السهام ، فلم توفر صديقا ولا عدوا .. وكانت ثالثة الاثافي هي الضربة القاصمة التي صوبت اليك في بيروت ـ عن غير قصد ـ والتي كان من جرائها فقد ناظريك نور الحياة ... وعلى هذه الصورة القاتمة الحزينة ، عدت الى عراقك الحبيب ، بعد غربة دامت نيفا واربعين عاما : قضيت منها سنتين في ايران والباقيات الصالحات في دمشق ولبنان .

واذا كان من سبيل الى العزاء ، فلك اسوة بصنوك أبي العلاء المعري ، الا أني أخشى أن تحذو حذوه ، فتصبح رهين المحبسين : العمى والدار. وهذه الاخيرة أصبحت كعبة الكتاب والشعراء ، من كل حدب وصوب ـ كما حدثنا الاستاذ ناجي جواد ـ في رسالته الاخيرة الى صاحب مجلة الثقافة .

ولئن أصبحت طعين العينين ، الا أن العباقرة يرون ببصيرتهم ، ما لا يشاهدونه ببصرهم . وحسبك أن بصيرتك في عافية ، فلا تغلق عليك باب الحياة ، ولا تركن الى الوحدة ـ وحدة الانسان ـ لانها طعنة لاتطاق ، فتكون كمثل سفينة تفوح منها رائحة الموت .

واياك والصمت ، فليس أبشع من أن يضبط الشاعر متلبسا بصحبة الصمت ! لانه الهزار الذي يجب أن يشدو دائما وابدا ، وماله من زينة غير اشعاره .. فابق على زينتك ، فالرعب كل الرعب في أن تهزم ... بل لابد لهذا الخطب من ان يفجر جمع الطاقات الخلاقة والمبدعة التي ظهرت بصماتها في دواوينك العديدة السالفة ، لتطالعنا بدواوين جديدة ، ترسخ خلودك الى أبد الآبدين .

يهمني أن أشنف الاذن بسماع تغاريدك ـ وأنت بين أهلك وعشيرتك في بغداد ، كما كنت دائما بين أهلك وأحبابك في سائر ديار العرب ـ أفلست القائل :

اني امرؤ عربي والعلى نسبي
في أي أرض أرى عربا أرى وطنا

ومثلما « أعطت العروبة ابداعها الكامل على يد : الجاحظ والمتنبي والمعري وابن خلدون وبديع الزمان ... ولا أقصد بالابداع الفكر العلمي ، فهذا مهيأ لكل الامم ، ولكني أقصد بالابداع ابداع الفكر الالهامي الذي لايستطيع اليه العلم .. » ـ على حد تعبيرك وطبقا لما أمليته علي مما قد سبق نشره في مجلة الاديب البيروتية ـ فان ابداع هذا الفكر سيلهمك أن تأتي بما أعجز الاوائل . ومن كان مثلك من تلامذة الامام جعفر الصادق الذي تربى في مدرسة جدة النبي العربي الأمي ، فلا خوف عليه ولا هو بحزين .

وسلامة لك وسلام عليك الى أن نلتقي عما قريب

مصطفى الخش

الاستاذ الشاعر مدحة عكاش

تحية وبعد ،

فانني أجد لذة ما بعدها لذة في تتبع مجلتكم الشهرية ، منذ أن أولاها وزين الاعلام الاستاذ أحمد اسكندر أحمد اهتمامه ؛ فسمح لها بالصدور ، وواكب مسيرتها على مدى سنة ونصف من عمرها حتى الان . ذلك أنني أرى فيها الوجه الاصيل لثقافتنا العربية ، ذلك الوجه الذي ما فتىء يعلن عن نفسه في العالم العربي ، وفي أوساط الادباء والمثقفين قاطبة .

ان هذا الاهتمام الذي تحظى به مجلتكم في دوائر الثقافة ، لهو أمانة في عنقك ، اذ « الثقافة » عبء على كاهل القائم بأمرها ، عبء يلقى صداه في التاريخ الادبي العربي على نحو أشمل مما هو في الاداب الاخرى .

لهذا كله ، ولاسباب ثقافية أخرى تدرون موضع مجلتكم منها ، **أطالبك أيها الشاعر القائم على أمر المجلة** أن تحسن حمل الامانة ، فتحملها وتؤديها بأحسن ما يكون الاداء ، **فهي عشقك الادبي ، وهمك الباقي بقاء حياتك .**

ان التاريخ الادبي يحمل لك ذكريات المنبر الشعري ، **ولا أشك أنه سيحمل لك ذكريات المنبر الادبي** ، فاحرص على أن تقدم لنا زادا ثقافيا أصيلا كالعهد بثقافتك ، واعلم أن مجلة « الثقافة » وجه من وجوه الادب السوري المعاصر يدخل بيوتا عربية كثيرة هي في أمس الحاجة للثقافة .

رضوان حزواني ـ حماة

نافذة على العالم

صدر عن مؤسسة « دار الحياة » للصحافة وللطباعة والنشر في دمشق ، كتاب «دمية القصر وعصرة أهل العصر» ، للباخرزي في ثلاثة مجلدات ، قام بتحقيقه الدكتور محمد التونجي الاستاذ المساعد في جامعة حلب ، ضم الكتاب ترجمة نحو من ستمئة شاعر •

اعتمد المحقق ، على احدى عشرة نسخة ، جمعها من مختلف مكتبات العالم • ووضع له دراسة قيمة عن المؤلف ، ومكانته العلمية والادبية ، مع مقارنات فنية بين الكتاب ومجموعات أدبية أخرى •

نال المحقق ، الدكتوراه في الآداب العربي من جامعة القديس يوسف في بيروت عن دراسة شاملة لهذا الكتاب ومؤلفه •

الجيد في هذا الكتاب ، دقة التحقيق ، والجهد المبذول بصبر وأناة ، وكذلك الفهارس التي نظمها المحقق بأحدث أساليب الفهرسة العلمية •

● عوفي شاعرنا بدوي الجبل ، من مرض خطير ألم به ، فمذ شهر ونيف تعرض البدوي لنوبات قاسية ، نقل على أثرها الى مدينة الحسين الطبية في عمان ولقي العناية التي تليق بمكانته الادبية العالية ، من كافة المسؤولين ، وحظي بالرعاية الطبية من أطباء مدينة الحسين وقد عالجه طبيب مختص استدعي من لندن على عجل ، فشفي وعاد الى دمشق موفور الصحة ، يزاول رياضته المحببة اليه ، وهي المشي كل صباح مع خيوط الفجر ، حيث تكون المدينة هاجعة ، والدروب خالية ، يختلي فيها الشاعر العظيم الى نفسه ، ويتمتع بهمسات النور وزقزقات العصافير وميسات النسيم •

فأهلا بشاعرنا العظيم ، وحمدا كثيرا لله على عافيته وسلامته ، وأمد الله بعمره ليعطي ما ينبغي له أن يعطى من شعره الاصيل •

● « دمشق الجميلة » رواية جديدة لكاتبها أحمد يوسف داود ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في ١٧١ صفحة الرواية هادفة وملتزمة ، عاش الكاتب أحداث روايته وحياة أبطالها ، كنماذج من احدى طبقات المجتمع في القطر العربي السوري ، واستطاع الكاتب أن يدخل في نفوس أبطالها ، ويصور خلجاتها ، ونوازعها النفسية ، باسلوب فيه جدة ، ووعي ! •••

● « ويطرح النخل دما » مجموعة شعرية للشاعر بيان الصفدي ، صدر حديثا عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق بـ ١٤٠ صفحة ، كتب مقدمته ممدوح عدوان •

يكتب الشاعر بعفوية صادقة وتبدو على شعره مسحة من الحزن •

● أعاد الاستاذ فاروق سعد في بيروت ، النظر في مؤلفه « من وحي ألف ليلة » فأعاد كتابة فصول ، وأضاف فصولا جديدة درس في كتابه هذا ، الاثر الكبير الذي تركته « ألف ليلة وليلة » في الشعر والقصة والمسرح وأدب الاطفال ،في جميع أنحاء العالم• الكتاب في ثماني مجلدات ، تضم نحو أربعة الاف صفحة ، صدر المجلد الاول في عام ١٩٦٢ ، والثاني في عام ١٩٦٣ ، ثم توالى صدور الاجزاء الاخرى •

● وللمؤلف نفسه ، كتاب « الفارابي والمدينة الفاضلة » وهو دراسة مقارنة ، تناولت المدن التي تصورها الادباء والفلاسفة والشعراء على غرار ما تصوره الفارابي نفسه ، ويذكر المؤلف ، مأة مدينة فاضلة تناولها الادب وعلم الاجتماع والفلسفة والسياسة •

● صدر في بغداد العدد الاول من المجلد الخامس من مجلة المورد التي تعني بالتراث العربي • في هذا العدد: الحلقة التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية في ٨/١١/٩٧٥ ، تحت شعار حماية المخطوطات العربية والمكتبات الموجودة في كل بلد عربي ، وتقرير اخر عن المخطوطات العربية خارج الوطن العربي ، أعده الاستاذ كوركيس عواد ، يذكر فيه جميع الفهارس التي أصدرتها بعض المكتبات العالمية بالمخطوطات العربية الموجودة فيها •

المؤسف ، أو المفاجأة ، أن تكون المخطوطات العربية منثورة في أنحاء العالم ، لا يعرف العرب عنها شيئا الا القليل،ولم يهتم أحد بجمعها وتصنيفها ودراستها والاعتناء بها واعادة طباعة ما هو جدير منها •••

● أقيمت ما بين ٢٤ و ٢٧ أيار الماضي ، ندوة للتعريب في تونس ، اشترك فيها رجال فكر واختصاص من الاقطار العربية ، الغاية من هذه الندوة تدارس أساليب تعزيز حركة التعريب في المجالين الفلسفي والعلمي بخاصة •

كانت ندوة مماثلة عقدت في العام الماضي في طرابلس ـ الجمهورية العربية الليبية ـ وقد صدر عنها عديد من المقررات في مجالات التعريب •

● « الثورة العربية من وجهة نظر مغربية » كتاب جديد للمفكر التونسي الطاهر عبد الله ، صدر عن مكتبة الجماهير في بيروت ، تناول الكتاب في صفحاته الـ ١٣٥ الامور التي تتعرض لها الثورة العربية في منعطف حاسم تمر به، وفي مرحلة الجزر ـ كما يراها المؤلف ـ التي نعيشها خلال هذه الفترة •

الكتاب لا ينكر فضل الحركة الثورية في اسيا العربية، رغم النكسات التي ألمت بها ، والانقسامات التي جزأت القوى الثورية الوحدوية ، ويرى المؤلف أن الفكر هو الذي ينظم النشاط البشري ، ويكشف النزعات المنحرفة التي تحجب الرؤية الواضحة ، وهو لا يطالب الفكر بحل مشاكل الوجود والحياة فذاك أمر أسهم فيه الفكر الانساني اسهاما رائعا ، وانما يرى ضرورة الاستفادة منه للحصول الى درجة من الرقي لبناء المجتمع العربي الحضاري •

استطاع الكاتب أن يتيح للقارىء العربي ، تبين أهم منطلقات الثورة العربية ، وقد أغنى المكتبة العربية في المغرب ، بمؤلفاته القومية •

● « افريقيا تحت أضواء جديدة ، كتاب جديد صدر في السودان للاستاذ جمال محمد أحمد وزير خارجية جمهورية السودان ، تحدث فيه عن كثير من المشاكل والحياة السياسة والاجتماعية والاقتصادية في افريقيا ملقيا عليها أضواء جديدة ، محللا لكثير من الشؤون والشجون الافريقية •

● عن دار « غراي » الباريسية ، صدر كتاب جديد بعنوان « القلب النابض » للكاتبة الفرنسية «سوزان شانتال » تحكي فيه قصة لحظات حب عاشها الاديب الفرنسي أندريه مالرو ، مع امرأة تدعى « جوزيت كلوتي » كانت عشيقته ، أنجب منها طفلا في عام ١٩٤٠ • الكاتبة كانت أمينة في نقل الحقائق الدقيقة لمراحل حياة الاديب الفرنسي مع عشيقته كلوتي •

● احتفل في فرنسا بمرور مئة عام على وفاة الاديبة الفرنسية الشهيرة «جورج صاند» • وقد كان لها دور بارز ومؤثر في الحياة الثقافية الفرنسية ، في القرن الماضي ، وهي تعتبر واحدة من رواد المدرسة الرومانسية في الادب • ومن دعاة الحرية ، فقد ظلت طوال حياتها ، تطالب بحرية المرأة واشتهرت الاديبة الكبيرة بشيئين : السرعة الفائقة بالكتابة، وصالونها الادبي الذي احتدمت فيه معارك أدبية ونقدية، بين رواده من الادباء والشعراء •

وفي هذه المناسبة صدر كتاب جديد من تأليف «فرنسين مايك » تناول بالتحليل الدقيق شخصية جورج صاند ، وأعمالها وأفكارها •

● عن سلسلة كتاب الهلال القاهرية ، صدر كتاب جديد عن حياة الاديب الكبير الراحل « مصطفى صادق الرافعي » ، تحدث فيه مؤلفه حسين حسن مخلوف ، عن حياة الرافعي الحافلة ، وعن أدبه والمعارك الادبية التي خاضها مع اخوانه من الادباء والكتاب ، كطه حسين ، العقاد وغيرهما .

● تستعد اللجنة العليا لمهرجان أبي الطيب المتنبي اقامته ، في الكوفة مسقط رأس الشاعر ، وسينقل هذا المهرجان الى النعمانية في محافظة واسط ، حيث لقي المتنبي حتفه ، وسيقام نصب تذكاري في ، الكوفة يمثل حياته ، وتبنى مكتبة عامة فيها وسيشاد ضريح جديد له في النعمانية وستصدر طوابع تذكارية بهذه المناسبة ، وتشترك في هذا المهرجان شخصيات أدبية من عرب وأجانب وتستعد أجهزة الاعلام في العراق ، لاعطاء صورة واضحة متكاملة عن هذا المهرجان .

● مجلة « الحكمة » التي تصدر في اليمن ، أصدرت مؤخرا عددا خاصا بالشعر ، اشتمل العدد على قصائد عديدة لشعراء يمانيين ليس غير،تمثل مختلف المدارس والاتجاهات الشعرية وتؤكد غزارة الشعر وجودته ازدهار الحركة الشعرية في القطرين العربيين : اليمن الشمالي ، واليمن الجنوبي .

● صدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق ، كتاب « حول التقاليد المسرحية » تأليف المخرج الفرنسي المعروف « جان فيلار » ترجمه الى العربية الاديب سعد الله ونوس . الكتاب مجموعة من المقالات ، والاحاديث الصحفية ، تحدث فيها المؤلف عن جوانب متعددة من المسرح وهمومه .

كتب المترجم ، مقدمته ، عرف بها المؤلف وفنه ، كممثل ومخرج ومحرك للنشاط المسرحي .

● صدر في عمان ، الديوان الاول للشاعر خالد الساكت ،يضم الديوان ثلاثين قصيدة ، ومقطوعة شعرية ، وقد اعتبره النقاد الاردنيون، اضافة جديدة للشعر الاردني الحديث ، يقدم في هذا الديوان ، عصارة معاناته،وأحساسه المبكر بالالتزام ، يجعل القارىء ، يحس بأوجاعه وعذابه من خلال القصائد التي كتبها بعد نكسة عام ١٩٦٧ .

● أعاد الدكتور الطاهر مكي ، تحقيق كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم الاندلسي ، نشرته دار المعارف في مصر ، وهو الكتاب الذي اشتهر في الشرق والغرب ، وترجمت فصوله الى كثير من اللغات .

أثار المحقق قضايا كثيرة عن الحب ، ونظريات ابن حزم فيه ، ضمنها كتابا آخر ، عنوانه « دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة » ، استطاع فيه أن يعقد الصلة الهامة بين كتب التراث والعصر الحديث . صدر هذا الكتاب عن دار المعارف أيضا .

● أحدث ما قدمته سلسلة « اقرأ » التي تصدر عن دار المعارف في القاهرة ، كتاب « الجمال والحرية الشخصية الانسانية في حياة العقاد » لمؤلفته الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، ناقشت آراء العقاد الكاتب الكبير الراحل ، في الحرية وفهمه لها ، والجمال والفن ، والانسان ...

● عن المؤسسة العربية للدراسات في بيروت ، صدر كتاب « صفحات مجهولة من الادب العربي المعاصر » للناقد المصري رجاء النقاش ، يكشف فيه سرا عن علاقة وثيقة بين الكاتب المصري الراحل أنور المعداوي والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان . في الكتاب سبع عشرة رسالة من أنور الى فدوى ، وليس من بينها أية رسالة منها اليه ، من خلال هذه الرسائل، تعرف ان المعداوي أحب فدوى طوقان أن يراها ، ونتلمس منها مأساة كان يبثها من هذا الحب .

فدوى طوقان ، هي التي بعثت الى النقاش بهذه الرسائل التي يظهر فيها المعداوي ، شخصا ضعيفا مريضا ، يخاف الموت ويخشى الحياة . الكتاب أثار ضجة كبيرة ، فعطاء الشاعرة هو الذي خلق لها مجدا ، ورصيدها في الحياة وبين الناس ، هو شعرها ، وليست رسائل غرام ، التي تخص المعداوي وحده ، وكان يجب أن تطوي على هذا السر جوانحها .

● « الموقف الثوري في الرواية العربية المعاصرة » كتاب من تأليف محسن جاسم الموسوي ، صدر في بغداد حديثا . يتألف الكتب من مقدمة وعشرة فصول ، تناول فيه بالدراسة والتحليل ، المفاهيم الوطنية والطبقية وأثر الاوضاع الاجتماعية والسياسية على الرواية العربية ، عند بعض القصاصين العرب ، مثل نجيب محفوظ والطيب الصالح وحنا مينة وغيرهم. وطرح موضوع صعوبة التعامل مع غالبية المثقفين ، وتغليف الفكر الذي يريدونه تغليفا قسريا على احداث الرواية . ونقد المؤلف سلبيات الكاتب ، وعدم استقراره الفكري ، وعدم وضوح منهجه الكفاحي في بلد ، هو أحوج الى الوضوح من غيره .

● « الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون » صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر ، تناول فيه مؤلفه الدكتور عبد الله شريط ، نظريات ابن خلدون في الاخلاق ، بالنقد والتحليل ، الى جانب آرائه في الاجتماع والقضايا التي عرضها المؤرخ العربي الكبير في مقدمته الشهيرة .